كتاب الأهالي رقم ٤٢

ترجمة: د. مصطفى صف[illegible]

الإرهاب

تأليف: نعوم شومسكي إدوارد س. هوفمان - جيرى أوسوليفان

اهداءات ٢٠٠٣

أسرة المرحوم الأستاذ/محمد سعيد البسيوني

الإسكندرية

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

كتاب الأهالي

رقم ٤٢ / يناير ١٩٩٣

رئيس الحزب : **خالد محيي الدين**

رئيس مجلس الإدارة : **لطفي واكد**

مجلس التحرير : د. ابراهيم سعد الدين / ابو سيف يوسف / حسين عبد الرازق / د. عبد العظيم انيس / عبد الغفار شكر / د. محمد احمد خلف الله

الادارة والتحرير . ٢٢ شارع عبد الخالق ثروت شقة ١٨ القاهرة ج . م .

ترسل جميع المراسلات باسم رئيس التحرير

الاعلانات . يتفق بشأنها مع الادارة

الاعداد السابقة : توجد نسخ محدودة من الاعداد السابقة من السلسله ترسل لمن يطلبها خارج القاهرة او خارج جمهورية مصر العربية بالبريد المسجل ويحسب سعر الكتاب على اساس ان الجنيه يعادل (دولار) امريكي ويضاف جنيه مصرى داخل مصر على ثمن الكتاب نفقات البريد كما يضاف « دولار » واحد خارجها الى الثمن وتحول اثمان الكتاب بحوالة بريدية باسم الاهالى .

كتاب الاهالى سلسلة كتب شهرية تصدرها جريدة الاهالى ـ حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوى ـ مصر

اما وقد صمتت مدافع الامة عن الدفاع . وحول العدو نيران مدافعه الى جبهة الوعي والانتماء فقد كان لابد وان يصدر كتاب الاهالى ليكون بعض جهدنا المتواضع في المعركة التي تدور على جبهة العقل ليساهم في اعادة بناء الجسور المنهارة بين الطليعة والشعب وبين المواطن والوطن وبين الوطن والامة وبين هؤلاء جميعا والكون الذى نعيش فيه .

ولاننا نعيش في عصر ثورة الاتصالات الذى يؤدى تدفق معلوماته الى تشوش في اليقين فان حاجتنا الى العودة للتبشير بالبديهيات واعادة احياء الذاكرة الوطنية لاتقل عن حاجتنا الى التعمق الذى يحيي اليقين لا الذى يشوش عليه .

واذا كان منطق الحركة السياسية اليومية يحتمل المساومة والوسطية فان جوهر دور اليسار على صعيد الوعي والانتماء هو الهدم والبناء ذلك ان الامر هنا امر تكوين وتأسيس يتجاوز ضرورات الحاضر وقيوده الى افاق المستقبل واحلامه .

كتاب **الأهالى**

ثقافة الهدم والبناء

رئيس التحرير : أمينة شفيق

مدير التحرير : د. أحمد الحصرى



الاراء الواردة فى كتب السلسلة لا تعبر بالضرورة عن رأى التجمع

يقبل كتاب الاهالى نشر جميع الكتب المؤلفة والمترجمة التى يرغب اصحابها فى نشرها طالما تخدم الهدف من اصداره ويقبل التبرعات والهبات التى يقدمها اليه المهتمون بنشر الثقافة والراغبون فى تحمل جزء من نفقات اصداره بهدف تخفيض سعر بيعه للجماهير ويشير الى ذلك اذا طلب صاحب الشأن

كتاب الأهالي رقم ٤٢

ترجمة : د. مصطفى صفوان

الإرهاب

تاليف: نعوم شومسكى إدوارد س. هوفمان - جيرى أوسوليفان

كلمة المترجم

صدر هذا الكتاب في العام الماضي (١٩٩١). أشرف على إعداده ألكساندر جورج، وهو أستاذ مساعد للفلسفة بكلية آمهيرست. حوى الكتاب - عدا المقدمة - ثماني مقالات. اخترت منها اثنتين. كتب أولاهما نعوم شومسكي، وهو غني عن التعريف، فقد انعقد الاجماع على اعتباره أكبر المجددين في علوم اللغة منذ سوسير. واشترك في الأخرى كاتبان : ادوارد س. هوفمان، وهو أستاذ العلوم المالية بجامعة بنسلفانيا، وجيرى أوسوليفان، وهو كاتب وطالب للدكتوراة في نفس الجامعة.

احتوى المقالان على عدد ضخم من الهوامش لم أر نفعا في نقلها لأن غالبيتها إحالات إلى المراجع المستقاة منها الوقائع والاستشهادات الواردة في النص، والتي لن

يستفيد منها إلا قارئ الانجليزية الذى أنصحه بقراءة الكتاب نفسه. ولاأظن أن هذا الحذف ينقص قدرة القارئ العربى فى الحكم على الأشياء. فله أن يصدق الوقائع التى لاتقبل التزييف أو على الأقل التى يوقع تزييفها به تحت طائلة العقاب والتى يعلم بعضها الجميع، أما الوقائع المبنية على الاستشهاد فتتوقف مصداقيتها على الشاهد، فلاتستوى مثلا شهادة تقرير من الآمنستى (هيئة العفو الدولية) وشهادة مرتزق سابق. وللقارئ بعد ذلك أن يرى مايراه فيما يستخرجه المؤلفون من هذه الوقائع وفى مناهجهم.

ويخطئ القارئ لو ظن أنى إذا أقدمت على هذه الترجمة كنت أصدر عن عداوة للغرب. فما أظننى مصابا بحب أو بكره للشرق أو للغرب. ولكنى أعتقد أن الحياة ماكانت إلا ليمجها المرء ولاكانت تستحق أن يحياها لو لم يكن بكل ملة وأرض قوم يحبون الحق، قادرون على قوله. ثم إن هذا الحق، مهما اختلفت الآراء فيه، لاشك مهدر إذا حرم بعضها الاستماع إلى بعضها الآخر. لقد سمعنا الكثير عن ارهاب ايران وكوبا وليبيا وفتح وغيرها، فلم لانسمع صوتا آخر؟ إذا أردنا الحكم على بينة.

د. مصطفى صفوان

(١)

(الإرهاب الدولى : الصورة والحقيقة

نعوم شومسكى

هناك مدخلان إلى دراسة الإرهاب. الأول هو **المدخل الحرفى** الذى يأخذ الموضوع المأخذ العلمى، والآخر **مدخل الدعاية** الذى يصطنع من تصور الإرهاب سلاحا يستغل فى خدمة قوة من القوى. والنهج الواجب اتباعه فى الحالين. فإذا أخذنا بالمدخل الحرفى بدأنا بالبحث عما يُقوِّم الإرهاب، ثم بحثنا عن أمثلة لهذه الظاهرة ـ مركزين على الأمثلة الكبيرة،– إذا أردنا أن نكون جادين ـ وحاولنا أن نحدد العلل والدواء. أما مدخل الدعاية فيملى منهجا آخر. فنحن نبدأ برأى مؤداه أن الإرهاب تقع مسئوليته على عدو تحدده الجهات الرسمية، ثم نصف الأفعال الإرهابية بكونها «إرهابية» فى الحالات وحدها التى يتسنى عزوها (على نحو مقبول أو غير مقبول) إلى المصدر المطلوب، وإلا تجاهلناها أو أسقطناها أو سميناها «رداً» أو «دفاعا عن النفس».

ولايدهشنا أن يكون منهج الدعاية هو الذى تتبعه الحكومات عامة وتتبعه أدواتها فى الدول الشمولية. ولكن الأجدر بانتباهنا هو كون هذه القضية تصدق صدقا كبيرا على وسائل الإعلام (الميديا)وعلى الدراسات الأكاديمية فى الديموقراطيات الصناعية الغربية، كما يثبت تفصيلا بالأسانيد. لقد قال ميكائيل ستول فى ملاحظة له : «علينا التسليم بأن الاصطلاح – لابل الاصطلاح وحده ـ هو الذى يجعلنا نصف لجوء قوة عظمى الى استخدام القوة وإلى التهديد بالقوة على أنه ضغط دبلوماسى لاعلى أنه صورة من صور الإرهاب» رغم أن ذلك يتضمن عادة «تهديدا بالعنف واستخدامه أحيانا لأهداف كان يجب وصفها بكونها أهدافا إرهابية لولم تكن القوى العظمى هى التى تسلك هذا المسلك.» تقييد واحد تجب إضافته إلى هذا القول : وهو أن لفظ «القوى العظمى» يجب قصره على الدول التى ننتصر لها، ففى الاصطلاح الغربى الذى نحن بصدد مناقشته لايجوز ترك هذه الحرية البلاغية للاتحاد السوفيتى، بل يجوز اتهامه وإدانته استنادا إلى أوهى القرائن.

لقد صار الإرهاب قضية كبرى تشغل الرأى العام فى الثمانينيات إذ بدأت إدارة ريجان مهمتها بالإعلان عن تصميمها على القضاء على ماأسماه الرئيس «خطر الإرهاب الشرير» هذا الوباء الذى ينشره «خصوم منحلون للمدنية نفسها» فى «ردة يشهدها القرن العشرون» (وزير الخارجية جورج شولتز).

وتركزت هذه الحملة بنوع خاص على الإرهاب الموجه إلى الدولة فى أنحاء العالم، وكان محورها الفكرى عزو المسئولية إلى «شبكة قاعدتها السوفييت، ممتدةً إلى العالم كله، مستهدفةً زعزعة المجتمع الغربى الديموقراطى » حسب قول كليرسترلنج التى صار كتابها الممتدح **شبكة الإرهاب** توراة الإدارة ودستور علم (الإرهابولوجيا) الجديد. وكان أن ساء الظن أن هذا الكتاب يعطينا «أكثر من برهان» على أن الإرهاب «يكاد ينحصر وقوعه فى المجتمعات الديمقراطية أو الديموقراطية نسبيا» (والتر لاكين)، بحيث لم يعد مجال للشك فى مصدره. صحيح أن هذا الكتاب مالبث أن تبين أنه منشور بخس من منشورات الدعاية، ولكن الاعتقاد ظل راسخا، يسيطر على الاتجاه السائد فى الأخبار والتعليق والدراسة الأكاديمية.

فما أن انتصف العقد الثامن حتى بلغ الاهتمام بالإرهاب الدولى حدا يقارب الهوس. ففى استفتاء جرى عام ١٩٨٥ اختار رؤساء التحرير والناشرون موضوع الإرهاب فى الشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط على أنه موضوع اليوم.. وفى العام التالى لحقت بصناعة السياحة الأوروبية خسارة كبرى إذ آثر الأمريكان البقاء بعيدا خوفا من الإرهابيين العرب الذين انتشروا فى المدن الأوربية انتشار الطاعون. ولكن الطاعون أخذ بعد ذلك فى الانحسار إذ أمكن ترويض الوحش الكاسر بفضل شجاعة راعى البقر الهادئة حسب الرواية المعتمدة.

فإذا انتقلنا إلى المدخل الحرفى، كان علينا أن نعرف أولا تصور الإرهاب ثم أن نبحث عن تطبيقه، تاركين الزهر يقع كيفما اتفق. فلنر إلى أين يؤدى بنا ذلك.

١- تصور الإرهاب

إن تصورات الخطاب السياسى قلما كانت مثالا فى الوضوح، ولكن هناك اتفاقا عاما على مقومات الإرهاب. ولنا أن نختار ماورد فى القانون الجنائى للولايات المتحدة موضعا نبدأ منه :

«عمل من أعمال الإرهاب» يعنى نشاطا :

(أ) يتضمن عملا عنيفا أو يحمل خطرا على الحياة الإنسانية مخالفا للقوانين الجنائية للولايات المتحدة أو أى دولة، أو قد ينطوى على هذه المخالفة لو وقع فى نطاق تشريع الولايات المتحدة أو أى دولة.

(ب) يتبين أنه كان يهدف إلى

(١) تخويف سكان مدنيين أو إكراههم

(٢) التأثير فى سياسة حكومة من الحكومات عن طريق التخويف أو الإكراه

(٣) تغيير مسلك حكومة من الحكومات بالقتل أو الاختطاف.

التصور غير محدد تحديدا دقيقا. فأولا، لايتبين دائما تبينا واضحا الخط الفاصل بين الإرهاب الدولى والعدوان. ولكننا سنترك هنا للولايات المتحدة وعملائها حق الانتفاع بالشك، فإذا رفضوا تهمة العدوان فى صدد حالة من حالات العنف الدولى. تركنا الحالة تندرج تحت مقولة الإرهاب بما هو جريمة أقل. هناك أيضا اختلاف حول التمييز بين الإرهاب والرد أو المقاومة المشروعة - وهو ماسنعود إليه.

وهناك أيضا، عن مصادر أخرى بالولايات المتحدة، تتضمن تعريفات أشد اقتضابا لما هو «الإرهاب». فنقرأ فى أحد موجزات الجيش عن مقاومة الإرهاب تعريفا مؤداه أن الإرهاب «هو استخدام العنف أوالتهديد بالعنف استخداما محسوبا من أجل الوصول إلى أهداف سياسية أو دينية أو أيديولوجية، وهو مايتم عن طريق التهديد أو الإكراه أو بث الخوف.» وأبسط من ذلك التعريف الوارد فى دراسة كلف بها البنتاجون خبير الإرهاب المعروف روبرت كوبّرمان، وهو تعريف يتحدث عن استخدام القوة أو التلويح بها «من أجل تحقيق أهداف سياسية، بدون اللجوء الكامل إلى كل طاقاتها.»

غير أن كوبرمان لايناقش هنا الإرهاب، بل «النزاع المنخفض التوتر»، وهو عقيدة محورية فى إدارة ريجان. لاحظ أن فكرة النزاع منخفض التوتر هذه - شأنها شأن فكرة سبقتها هى «مقاومة التمرد» - لاتكاد تخرج، كما يتبين من

الوصف ويتأيد بالواقع، عن أن تكون مرادفا منمقا للإرهاب الدولى الصادر عن هذه الدولة أو تلك، بمعنى استنادها إلى القوة استنادا لايبلغ درجة جريمة الحرب العدوانية.

هذه نقطة يسلم بها البحث الأكاديمى وإن حرفها تحريفا نظريا على النحو المعهود. مثال ذلك أن أحد كبار الآخصائيين الإسرائيليين يرى «أن إرهاب الدولة صورة من صور النزاع المنخفض التوتر الذى تدخله الدولة إذا رأته أمرا يناسبها أن تشتبك فى «حرب» دون أن تقع عليها تبعة أعمالها» (الأستاذ يوناه ألكسندر). سوى أن ألكسندر يقصر انتباهه على مؤامرة الكرملين من أجل زعزعة الغرب باستخدام «جماعات نائبة» ضاربا على ذلك أمثلة مثل «برنامج منظمة التحرير الفلسطينية عن التدريب الكامل... المقدم إلى نيكاراجوا.» فهذه النظرة ترى أن «منظمة التحرير الفلسطينية، التى تربطها علاقة خاصة بموسكو» تخدم سيدها السوفييتى بتمرير «التدريب المخصوص» فى الإرهاب الذى تتلقاه فى الاتحاد السوفييتى إلى نيكاراجوا، مما يمكن هذه من شن عمليات محدودة على الولايات المتحدة ومصالحها. ثم هو يضيف إلى ذلك اقتراحات عن الوسائل التى «يجب اتباعها امتحانا لصدق الكتلة الشرقية»، مثال ذلك «أن تبدى استعدادا لوقف حملات دعايتها التى تربط بين الولايات المتحدة وحلفائها وبين الإرهاب.»

هذه الأمثلة ترينا أى خيال خصب تستمد منها النقاوة المذهبية معينها.

٢- الإرهاب والثقافة السياسية

هناك دول إرهابية كثيرة فى العالم، ولكن الولايات المتحدة تنفرد رسميا بالإرهاب الدولى وعلى نطاق يجعل جبين منافسيها يندى خجلا. فإيران قطعا دولة إرهابية، كما تعلن ذلك عن حق حكومات الغرب وإعلامه. غير أن مشاركتها الكبرى المعلومة فى الإرهاب الدولى لم تنكشف إلا خلال التحقيقات الخاصة بموضوع الكونترا ودخل إيران فيه : أى تورطها الذى ربما لم يكن مقصودا فى الحرب التى شنتها الولايات المتحدة على نيكاراجوا بواسطة

الكونترا. هذه الحقيقة مرفوضة، ومنه إغفالها رغم أن صلة إيران هذه بالإرهاب الدولى للولايات المتحدة قد انكشفت فى وقت استعرت فيه الحملة على الإرهاب الإيرانى.

وتبين من هذه التحقيقات ذاتها أن الولايات المتحدة، تحت تأثير عقيدة ريجان، قد أنشأت طرقا جديدة فى الإرهاب. فبعض الدول تستخدم عددا من الإرهابيين الأفراد ومن المجرمين للقيام بأعمال العنف فى الخارج. ولكن خلال سنوات ريجان، مضت الولايات المتحدة إلى أبعد من ذلك، فلم تقف عند إنشاء شبكة شبه خاصة من الإرهاب الدولى، بل اصطنعت مجموعة من الدول العميلة والمرتزقة ـ تايوان، كوريا الجنوبية، اسرائيل، وغيرها ـ لتقوم بتمويل عملياتها الإرهابية وتنفيذها. هذه الخطوة المتقدمة فى الإرهاب الدولى قد انكشفت فى وقت بلغ فيه القلق من جراء الطاعون أقصاه، ولكنها لم تدرج فى المناقشة والجدال.

إن التزام الولايات المتحدة بالإرهاب الدولى يمتد الى أدق التفاصيل. مثال ذلك أن قوات متمردى الكونترا فى نيكاراجوا تلقت من البنتاجون وال «سى. آى. إيه» توجيهات بالهجوم على «الأهداف الناعمة» أى على المدنيين المعزولى السلاح. وأباحت وزارة الخارجية الهجوم على الجمعيات التعاونية الزراعية تحديدا ـ وهو الأمر الذى نستنكره إذا كان الفاعل أبو نضال. حتى حمائم الميديا أعربت عن موافقتها على هذ المسلك بعد تفكير. ففى جريدة **نيو ريبابلك** كان من رأى ميكائيل كنسلى، وهو يقف عند الطرف الليبرالى من التعليقات السائدة، أننا لاينبغى أن نسارع إلى استبعاد المبررات التى تراها وزارة الخارجية لضرب الجمعيات الزراعية : لأن «السياسة المتزنة» يجب «أن تصمد لتحليل الثمن والربح»، أى التحليل الذى يقارن بين «كمية ماسيتدفق من الدم والبؤس، واحتمال انبعاث الديموقراطية فى النهاية.» أما أن النخبة تملك فى الولايات المتحدة حق القيام بالتحليل والمضى فى مشروعها إذا صمد للامتحان، فهذا أمر مفهوم.

فلما أسقطت فى أكتوبر ١٩٨٦ طائرة تموين مرسلة إلى الكونترا، وعلى متنها مرتزق إمريكى، استحال إخفاء هذه الدليل على قيام ال سى. آى. إيه

بتموين القوات المحاربة بالوكالة تموينا غير مشروع. وكان أن بدأت التحقيقات التى سبقت الإشارة إليها. ثم حدث بعد أن انتهت بأيام معدودة أن وقع رؤساء أمريكا الوسطى على اتفاقية سلام. هنا بدأت الولايات المتحدة فورا العمل على تخريبها. وكان أحد العوامل التى رأت الاتفاقية أنه «عنصر دائم لتوفير الاستقرار والسلام فى المنطقة» هو الامتناع عن كل معونة «للقوى الغير نظامية أو المتمردة» من جانب الحكومات «الواقعة فى المنطقة أو خارجها». وردت الولايات المتحدة على ذلك بأن صعدت على الفور الهجمات على الأهداف الناعمة فى نيكاراجوا. ورغم أن تلك الفترة كانت الفترة التى بلغ فيها استنكار عمليات واشنطون الخفية أوجه، فإن الكونجرس والميديا قد حرصا على غض النظر عن زيادة امدادات ال سى. آى. إيه إلى عدة رحلات جوية فى اليوم، هذا بينما استمر التعاون مع برنامج البيت الأبيض لفك الاتفاقية غير المرغوب فيها، وهو هدف تحقق أخيرا فى يناير ١٩٨٨، وإن احتاج الأمر الى خطوات أخرى لتخريب اتفاقية ثانية بمتابعة الموقف، وقعها رؤساء أمريكا الوسطى فى فبراير ١٩٨٩.

وبزيادة الامدادات والمراقبة الجوية لصالح القوات المحاربة بالوكالة زاد العنف والإرهاب، وفقا للمطلوب. هذا أيضا أمر انسحب عليه الإغفال، وإن ظهرت بين الحين و الحين إشارة إليه. ففى أكتوبر ١٩٨٧ ذكرت صحيفة **لوس أنجيلوس تايمز** أن «المحللين العسكريين الغربيين يقولون إن الكونترا قد أعدموا أطنانا من الأسلحة ألقيت إليهم من الجو فى محاولة من أجل تجنب معركة حامية.... وفى الوقت نفسه صعدوا هجماتهم على الأهداف الحكومية السهلة كمزرعة (لاباتريوتا) التعاونية... حيث مات عدد من رجال الميليشيا وامرأة مسنة وحفيدها خلال قصف وقع قبيل الفجر.» إن الأحداث التى بدت لاتستحق التفاتا كثيرة، نذكر منها دون اختيار متعمد هجوم ١٥٠ من رجال الكونترا يوم ٢١ نوفمبر ١٩٨٧ على قريتين فى مقاطعة ريوسان خوان الجنوبية، هجوما استخدموا فيه مدافع عيار ٨٨ م م وقنابل صاروخية، فقلتوا ستة أصفال وستة راشدين وجرحوا ثلاثين.. بل المجمعات الدينية لأنصار السلام التى رفض أعضاؤها حمل السلاح، قد دمرتها قوى الولايات المتحدة الإرهابية. والأمر

كذلك في السلفادور، حيث يهاجم الجيش الجماعات التعاونية، قاتلا، غاصبا، مختطفا أعضاءها.

فلما أصدرت محكمة العدل الدولية في يونيو ١٩٨٦ حكمها بإدانة الولايات المتحدة «لاستخدامها غير القانوني للقوة» ولحربها الاقتصادية اللاقانونية، نُحي حكمها باعتباره إعلانا لامحل له، صدر عن «مجمع معادٍ» (**نيويورك تايمز**). وقل أن انتبه أحد إلى الولايات المتحدة استخدمت حق الفيتو ضد قرار من مجلس الأمن بدعوة جميع الدول إلى مراعاة القانون الدولي وإذ صوتت ضد قرارات الجمعية العمومية بنفس المعنى (مع اسرائيل والسلفادور عام ١٩٨٦، ومع اسرائيل وحدها عام ١٩٨٧). ومنه يتضح أن المبدأ الرائد هو أن الولايات المتحدة دولة إرهابية بلا قانون وأن **هذا حق وعدل**، أيا كان رأي العالم وأيا كان ماتعلنه المنظمات الدولية.

ويترتب على هذه العقيدة أنه مامن دولة يحق لها أن تدافع عن نفسها في وجه الولايات المتحدة. إن الإيمان الواسع بهذه النظرية العجيبة قد تكشف حين أخذت أجهزة الإدارة الريجانية تنشر قصصا مؤداها أن نيكاراجوا تحاول الحصول على أجهزة رصدٍ للطائرات النفاثة. فقد ظهر حينئذ بعض النقد الموجه ألى الميديا لابتلاعها هذا النبأ المخترع بلا تحقق، ولكن الحقيقة ذات المغزى ظلت يشملها الجهل : ألا وهي اتفاق الجميع على أن هذا المسلك لو صح من جانب نيكاراجوا، لكان عملا لايغتفر قط. أضف أن هذه القصة حين طُبخت كيما تصرف النظر عن انتخابات ١٩٨٤ في نيكاراجوا، وقف السناتور بول تسونجاس (ماساشوستس)، بسند من قادة فريق الحمائم، يحذر من أن الولايات المتحدة قد تضطر إلى قذف نيكاراجوا بالقنابل إذا هي تلقت طائرات من طراز الميج لأنها «قادرة أيضا على العمل ضد الولايات المتحدة» - بخلاف معاقل، الصواريخ النووية المتأهبة في تركيا والتي لاتشكل خطرا على الاتحاد السوفييتي لأنها هناك لأسباب دفاعية. إن من المفهوم أن الأجهزة راصدة الطائرات النفاثة ربما كانت ستمكن نيكاراجوا من حماية أرضها من التموين الجوي الذي كانت تحتاج إليه القوى المحاربة نيابة عن الولايات المتحدة ومن المعلومات المستمرة التي كانت تتلقاها عن مواقع الجيش النيكاراجوي بما يمكنها

من الهجوم آمنة على الأهداف الناعمة. كان ذلك أمرا مفهوما، لكنه لايذكر. ولا أحد أفشى السر المباح، ألا وهو أن نيكاراجوا كان يسعدها الحصول على الطائرات الفرنسية بدل الميج لولا أن الولايات المتحدة أكرهت حلفاءها على قطع كل معونة عسكرية حتى ترتعد جميعا فرقا أمام «السندينستا الذين يدعمهم السوفييت».

وأثيرت نفس القضية فى أغسطس ١٩٨٨، حين اندفع أعضاء فريق الحمائم فى الكونجرس يؤيدون اقتراح بيرد الخاص «بمساعدة المقاومة النيكاراجوية.» ذلك أن الكونترا كانوا قد هاجموا، ثلاثة أيام قبل ذلك، سفينة **بعثة السلام** فقتلوا شخصين وجرحوا ٢٧ كلهم مدنيون، كان بينهم قس من نيوجرسى، رأس وفدا من رجال الدين من الولايات المتحدة. هذه الحادثة لم يرد لها ذكر خلال مناقشة اقتراح بيرد. وإنما انطلقت الحمامات الكونجرسية تنذر بأن الجيش النيكاراجوى إذا قام «بهجوم عسكرى دون استفزاز» أو «بأى عمل عدائى آخر» ضد من أمعنوا فى مثل هذه الفظائع الإرهابية فلسوف يستجيب الكونجرس بشدة وبحق بتجديد مساعدتهم العسكرية. ولم تر الميديا فى تغطيتها للأنباء وتعليقاتها شيئا فى هذا المثل يستوقف النظر أو يستحق الذكر.

المغزى واضح : مامن أحد يملك حق الدفاع عن النفس فى وجه هجوم الولايات المتحدة الإرهابى. الولايات المتحدة دولة إرهابية **بقوة الحق**. هذا مذهب لايقبل تحديا.

وعليه فتنظيم جيش إرهابى عميل ليكبح جماح شعب غير طيِّع إنما هو عمل مشروع. أما عن الحق، فقد شرحت جين كيركباتريك أن «التدخل بالقوة فى شئون أمة أخرى» ليس بالأمر «الممتنع عمليا» ولاهو بالأمر «المنافى للأخلاق» إنه غير قانونى فقط، جريمة عوقب عليها أناس بالشنق فى نورمبرج وطوكيو وسط تصريحات رنانة بأن هذه لم تكن «عدالة المنتصر» لأنه، وفاقا لما أعلنه القاضى روبرت جاكسون، «إذا كانت بعض الأفعال ونقض المعاهدات جريمة، فهى جريمة سواء ارتكبتها أمريكا أو ألمانيا. إننا لانريد سن قاعدة يحاسب بمقتضاها السلوك الإجرامى إذا صدر عن الآخرين ولانحاسب بمقتضاها إذا صدرت عنا.» بيد أن إرفنج كريستول أزاح هذه الأفكار شارحا أن «الحجة

المستقاة من القانون الدولى تفتقر إلى كل مصداقية. صحيح أن «قوة عظمى ينبغى امتناعها عن التدخل عادة فى شئون أمة أصغر» ولكن هذا المبدأ ينقلب إذا «كسرت قوة عظمى أخرى هذه القاعدة.» ولما كان أمرا «لانقاش فيه» أن «الاتحاد السوفييتى قد تدخل فى نيكاراجوا» إذ أمدها بالسلاح والفنيين «فى المجالين العسكرى والمدنى على السواء»، فقد حق للولايات المتحدة أن ترسل جيشها العميل لمحاربة نيكاراجوا. بمقتضى هذه الحجة يجوز للاتحاد السوفييتى كامل الحق فى مهاجمة تركيا أو الدنمارك ـ وهما يمثلان تهديدا لأمنه يفوق كثيرا تهديد نيكاراجوا بالنسبة إلى الولايات المتحدة ـ لأن الولايات المتحدة «بلا نقاش» تمدهما بالمعونة وماكانت تتردد فى الذهاب إلى أبعد من ذلك كثيرا لو أن الاتحاد السوفييتى مارس حق العدوان الذى يمنحه إياه منطق كريستول.

غير أن كريستول تسعه إزاحة هذه الحجة أيضا بالإشارة إلى التمييز الحاسم الذى سنه فى موضع آخر متعلقا بحق الولايات المتحدة فى التدخل بالقوة :«إن الأمم الهزيلة، كالأشخاص الهزل،قد تتنابها سريعا أوهام عن أهميتها.» فإذا صنعت وجب نزع هذه الأوهام من رؤوسها بالقوة :«الواقع هو أن أيام «دبلوماسية المدفع» لن تنتهى أبدا... المدفع ضرورى للنظام الدولى ضرورة عربات الشرطة للنظام الداخلى.» ومنه حق الولايات المتحدة أن تلجأ إلى العنف ضد نيكاراجوا، أمة هزيلة، وإن كان الاتحاد السوفييتى يفتقر إلى هذا الحق حيال تركيا أو الدنمارك.

إن الانطواء الغالب إلى حد يقارب الإجماع تحت لواء الإرهاب الدولى للولايات المتحدة لاينبغى أن تخفيه معارضة فريق واسع من النخبة لحرب الكونترا.ففى عام ١٩٨٦ تبين من الإستفتاءات أن ٨٠فى المائة من «القادة» يعارضون مساعدة الكونترا وكان هناك جدل شديد فى الكونجرس والميديا حول البرنامج. ولكن من المهم أن ننظر عن كثب إلى التعبيرات التى انصب فيها هذا الجدل. فمن الطرف المنشق كتب توم ويكر فى صحيفة **نيويورك تايمز** قائلا إن «سياسة المستر ريجان فى مساعدة الكونترا فشل واضح» ومنه وجب علينا أن «نقتنع بتسوية لأوضاع المنطقة عن طريق التفاوض يفرض جيران نيكاراجوا تطبيقها» ـ إذا كان فى إمكانهم تكريس جزء من وقتهم لعمل آخر غير مذابح

الأهالى، وهى سمة لهذه النظم الإرهابية لاتحول دون قيامها بدور من يفرض تطبيق تسويات المنطقة على الساندينستا الضالين الذين يستحيل اتهامهم بمثل هذه التهمة ولو من بعيد إتهاما قابلا للتصديق. وأعرب رؤساء تحرير صحيفة **واشنطون بوست** عن نفس الفكرة فارتأوا أن الكنترا «أداة غير صالحة» مما يحتم البحث عن حل «يعيد نيكاراجوا إلى حظيرة أمريكا الوسطى» ويفرض عليها «سلوكا عاقلا بمعيار المنطقة» ـ معيار دول واشنطن الإرهابية. أما فى مجلس الشيوخ فقد صرح رئيس الأغلبية ألان كرانستون، وهو من زعماء الحمائم، بأن «جهود الكونترا قاصرة قصورا يرثى له... عن تحقيق الديموقراطية فى نيكاراجوا» (الديموقراطية هى،بقرار مذهبى،هدف الولايات المتحدة، أيا كانت الوقائع)، لهذا واجب على الولايات المتحدة أن «تعزل» حكومة مانجوا «الآثمة» وأن «تتركها تتعفن فى إفرازاتها» ـ دون نصيحة معادلة فيما يخص عملاء واشنطن القتلة.

خلاصة الأمر أنه مامن أحد خرج عن تعبير ميكائيل كينسلى عن «السياسة المتزنة». فالمسألة مسألة فاعلية، لامسألة مبدأ. للدولة حق اللجوء إلى العنف على النحو الذى تراه مناسبا.

أما الدافع إلى سياسة الإرهاب،! الإرهاب الدولى فقد تم شرحه شرحا صريحا إذ نبه كبار ممثلى الإدارة إلى أن الهدف من الهجوم على نيكاراجوا كان «إرغامهم (أى الساندينتا) على استنفاد مواردهم الضئيلة فى الحرب، بعيدا عن البرامج الاجتماعية.» ذلك كان مرمى برنامج ال سى. آى. إيه. عام ١٩٨١، الذى أخذت به الإدارة. إن القصد من هذا البرنامج، كما شرحه أمام المحكمة الدولية محلل سابق من ال سى. آى. إيه، دافيد ماكميكائيل، كان الآتى : استخدام جيش عميل «من أجل إثارة هجمات عبر الحدود من جانب القوات النيكاراجوية والبرهنة بذلك على طبيعتها العدوانية»، حمل حكومة نيكاراجوا على «تقييد الحريات داخل نيكاراجوا نفسها وتكبيل المعارضة مما يبرهن مازعم من طبيعتها الشمولية الدفينة ويزيد حدة الانشقاق داخل البلد» ثم هدم الاقتصاد المتغوض. وجاء فى مناقشة حول استراتيجية الاحتفاظ بقوة إرهابية فى نيكاراجوا بعد أن ألغى الكونجرس نظريا فى فبراير ١٩٨٨

إمدادات ال سى. آى. إيه الضخمة (وبعد أن فرت غالبية القوات الصنيعة، مما كشف - وإن لم ينتقل الكشف إلى الكلم - عن مدى قلة شبهها بمحاربى الجيريلا الذين ينبعون من داخل البلد). جاء هذا الشرح على لسان ضابط من وزارة الدفاع :

> هذه النواة الصلبة المكونة من ٢٠٠٠ رجل قد يمكنها الضغط على حكومة نيكاراجوا وحملها على استخدام مواردها فى الأغراض العسكرية والحيلولة بينها وبين حل مشكلاتها الاقتصادية - وهذا كسب... إن كل مايؤلف ضغطا على نظام الساندينستا ويجذب الانتباه إلى افتقاره إلى الديموقراطية ويمنع الساندينستا من حل مشاكلهم الاقتصادية هو انتصار كبير.

وقال فيرون فاكى الوزير المساعد لشئون الأمريكتين فى إدارة كارتر إن الحجة الأساسية فى القيام بالهجوم الإرهابى هى أن «حربا طويلة منهكة سوف تشعف النظام وتدفعه إلى تقوية جذرية للردع وتكتسب تأييد السكان الساخطين إلى حد من شأنه أن يؤدى آجلا أو عاجلا إلى الإطاحة بالنظام عن طريق ثورة شعبية، أو إلى تدميره نفسه بفعل الضربات الداخلية أو الانقسامات عن طريق ثورة شعبية، أو إلى تدميره نفسه بفعل الضربات الداخلية والانقسامات بين القادة، أو إلى استسلامه ببساطة حتى ينقذ مايمكن إنقاذه.» وكان رأى فاكى بصفته حمامة أن هذه الحجة «غير مقنعة» ولكنه لم يقل أبدا إنها كانت خطأ.

ولم تقصر القوات الإرهابية عن فهم توجيهاتها كما نعلم من واحد من أهم من فروا منها خلال الثمانينات ألا وهو رئيس مخابرات الكونترا، هوراشيو آرسه، الذى عرف فى الحرب باسم «مرسناريو»، الحديث عن «الديموقراطيين» وعن «المحاربين من أجل الحرية» حديث للاستهلاك الداخلى. إن الفارين من الساندينستا كان يقبل على استغلالهم فى شره البيت الأبيض والميديا، وكانت الكونترا بوجه عام يحظون بتغطية وافية. أما **الهاربون** من الكونترا فيختلف أمرهم، وبخاصة إذا كانت فى جعبتهم روايات لاتر. فلما فر آرسه فى أواخر ١٩٨٨ أغفل أمره فى *الولايات المتحدة*. ثم بعد ذلك أدلى بأحاديث صحفية فى

المكسيك، قبل رجوعه إلى مانجوا قبولا للعفو، وصف فيها تدريبه غير القانونى بقاعدة جوية فى جنوب الولايات المتحدة وذكر بالاسم عملاء ال سى. آى. إيه الذين كانوا يلتقون بالكونترا فى سفارة الولايات المتحدة فى تيجوسيجاليا وشرح كيف كان جيش هندوراس يغذى نشاط الكونترا العسكرى بالمعلومات والمساعدات ثم وصف الفساد المنتشر بين القوات الصنيعة وبيعها للأسلحة فى سوق هندوراس للأسلحة حيث كانت تتسرب بعد ذلك إلى أيدى الجيريلا بسلفادور. ولم ينته القول: «إنا نهاجم كثيرا من المدارس والمراكز العلاجية والأشياء التى من هذا القبيل. لقد حاولنا أن نخلق وضعا يجعل من المستحيل مع الحكومة النيكاراجوية مد يد المعونة إلى الخدمات الاجتماعية للفلاحين وتنمية مشروعها.» إن تدريب الولايات المتحدة قد سجل تسجيلا يثبت نجاحه إلى أبعد مدى.

إن حرب الكونترا تندرج بلا صعوبة فى باب «الإرهاب الذى تتعهده دولة»، كما شهد بذلك مدير ال سى.آى. إيه السابق ستافيلد تورنر أمام الكونجرس فى أبريل ١٩٨٥. ولقد يرى البعض أن الأفضل وصفها بكونها عدوانا صريحا ـ وهو مايخرج من قرار المحكمة الدولية عام ١٩٨٦. ولكن دعنا مع ذلك نترك للولايات المتحدة حق الانتفاع بالشك، مكتفين بإدراج أعمالها ضد نيكاراجوا فى مقولة الإرهاب الدولى.

٣- الإرهاب الدولى فى الثمانينيات

فى خلال العقد الثامن من هذا القرن، كانت أمريكا الوسطى هى المحل الأول للإرهاب الدولى. ففى نيكاراجوا تركت القوات الصنيعة للولايات المتحدة أطلالا من التعذيب والاغتصاب والتقطيع والخطف والتدمير، ولكنها كانت تلقى مقاومة لأن المدنيين كان لهم جيش يحتمون به. ولكن هذه المشكلة لاتواجه دول الولايات المتحدةالعميلة، حيث القوة الكبرى فى مهاجمة السكان

المدنيين هى الجيش نفسه وسائر أجهزة الأمن. ففى السلفادور ذبح عشرات الآلاف فيما وصفه الأسقف ريفيرا إى داماس عام ١٩٨٠، بعد أن قربت رحى العمليات عقر داره بقليل، بكونه «حرب إبادة وجريمة عنصرية ضد سكان مدنيين لادفاع لهم.» هذا المثل من أمثلة إرهاب الدولة كان يهدف «إلى تدمير المنظمات الشعبية التى كانت تحاول الدفاع عن حقوقها الإنسانية الأساسية» حسب تعبير الأسقف أوسكار روميرو قبيل مصرعه وهو يستجدى الرئيس كارتر عبثا ألا يرسل العون إلى القوات المسلحة التى كانت حسب قوله أيضا ،لاتعرف إلا كيف تردع الشعب وتدافع عن مصالح الأوليجاركيه السلفادورية.» هذان الهدفان قد تحققا إلى مدى بعيد خلال إدارة ريجان التى صعدت وحشية الهجوم على السكان إلى ذرى جديدة. فلما تبين أن الولايات المتحدة قد تجر إلى غزو ربما ضر بمصالحها نفسها، ظهر فى دوائر النخبة بعضٌ من الاهتمام والاحتجاج، مالبث أن خفت إذ تبين نجاح إرهاب الدولة بالقضاء على صفوف المنظمات الشعبية و «قطع رؤوسها». ثم خرجت القضية من دائرة الانتباه بعد أن ضمنت الانتخابات التى جرت فى جو من العنف والردع انتصار العناصر المتنعمة، الذين تقبلهم الولايات المتحدة.

وقل أن ينتبه أحد إلى ماأعقب الاتفاق الثانى بين رؤساء أمريكا الوسطى من الزيادة البارزة فى إرهاب الدولة؛ أو إلى تقرير أصدرته منظمة العفو الدولية (آمنستى) بعنوان : **السلفادور :«فرق الموت» ـ استراتيجية حكومية** (أكتوبر ١٩٨٨)، أشارت فيه إلى «الزيادة غير المطمئنة» فى حدود القتلى على يد فرق الموت باعتبارها جزءا من سياسة حكومية تهدف إلى تهديد كل معارضة محتملة «بقتل الضحايا وبتر أجسامهم على أفظع نحو ممكن»، تاركة إياهم «مبتورين، مقطوعى الرؤوس، مخلوعى الأعضاء، مخنوقين أو موسومين بعلامات التعذيب... أو الاغتصاب الجنسى.» فلما كان هدف الاستراتيجية الحكومية هو «تهديد السكان المدنيين أو إكراههم» (أى الإرهاب فى تعريف القانون الجنائى للولايات المتحدة له)، لم يكف القتل وحده. بل وجب ترك الأجسام مقطوعة الأوصال على جانب الطريق، والنساء وجبت رؤيتهن معلقات على الأشجار بشعورهن وقد صبغت وجوههن بصباغ أحمر وقطعت

صدورهن، بينما تستمر طبقة النخبة المحلية فى تجاهل ماترى لتمضى فى تمويل القتلة والمعذبين وتدريبهم ومساعدتهم.

وفى خلال هذه السنوات نفسها، وقعت فى جواتيمالا مذبحة تزيد حتى على هذه فداحة، تؤيدها أيضا من الألف إلى الياء الولايات المتحدة ودولها المرتزقة. هنا أيضا تزايد الإرهاب بعد اتفاقية السلام الثانية بين رؤساء أمريكا الوسطى حتى تشل الخطوات المنصوص عليها فى هذه الاتفاقية نحو الديموقراطية والإصلاح الاجتماعى والحقوق الإنسانية. هذه الخطوات أيضا قد أغفلت مثلما أغفلت فى السلفادور، لأن المأمورية فى ذلك الوقت كانت تقضى بتركيز الانتباه على نيكاراجوا وبالإعراب عن أشد الاستنكار إذا حاولت نيكاراجوا بين الحين والحين أن تشير ولو إلى **أقل** الانتهاكات التى صارت مسلكا معتاداً فى دول الولايات المتحدة العميلة. فلما كان الهدف إعادة نيكاراجوا إلى حظيرة أمريكا الوسطى» والتأكد من مراعاتها «لمعايير المنطقة» التى يلتزم بها السلفادور وجواتيمالا، فلا داعى إلى الانشغال بالإرهاب الجارى فى الدول العميلة إلا إذا اتخذ شكلا ظاهرا إلى حد يهدد فيض المعونة المرسلة إلى القتلة.

لايفوتك أن هذا كله إرهاب دولى، تؤيده واشنطن أو تنظمه مباشرة بمساعدة شبكتها الدولية من الدول المرتزقة.

إن منظمة حقوق الإنسان (الغوث القضائى)، التى كانت تعمل تحت حماية أسقفية سان سلفادور، قد وصفت الإرهاب الذى ظل بعد انتخابات ١٩٨٤ التى هلل لها البعض لأنها أعادت الديموقراطية إلى السلفادور، يستمر «على يد ذات العناصر المنتسبة إلى القوات المسلحة، المتمتعة بالتأييد الرسمى والمدربة تدريبا تاما على أعمال العنف الجماعى هذه» - وصفته فى هذه العبارات :

> إن المجتمع السلفادورى، بعد أن غير منه الإرهاب والذعر الناجمان عن الانتهاك المستمر لحقوق الإنسان، يبدى الآن السمات الآتية : الرعب الجماعى والخوف الشامل، من جهة، ثم من جهة أخرى القبول الباطن للإرهاب نتيجة للاستخدام اليومى والمتكرر لوسائل العنف. فالمجتمع بوجه عام يستكين لمشهد الأجسام المعذبة

المتكرر، لأن الحقوق الأساسية، حق الحياة، لم تعد لها أهمية قصوى في نظر المجتمع.

إن هذا الوصف نفسه يصدق على المجتمعات التي تشرف على هذه العمليات أو تقنع بأن تشيح وجهها عنها.

٤- ماقبل الوباء الرسمي

إن الإرهاب الدولي لم يكن قطعا اختراعا من السنوات الثمانين. ففي العقدين السابقين، كان أكبر ضحاياه كوبا ولبنان.

كان يتولى الإرهاب ضد كوبا في الكتمان فريق خاص تكون في نوفمبر ١٩٦١ تحت اسم السر «مونجوس»، ضم ٤٠٠ أمريكي و٢٠٠٠ كوبي وأسطولا خاصا من القوارب السريعة وميزانية سنوية قدرها ٥٠ مليون دولار، تشرف عليه جزئيا ال سي. آي. إيه. في ميامي رغم مافي ذلك من انتهاك لقرار إعلان الحياد وربما للقانون الذي يحرم عمليات ال سي. آي. إيه في الولايات المتحدة. هذه العمليات كانت تشمل ضرب الفنادق والمنشآت الصناعية بالقنابل، إغراق مراكب الصيد، تسميم المحاصيل ومخازن المؤن ونقل العدوى إلى صادرات السكر، إلخ. ولم تكن هذه الأعمال ترتكب كلها بتصريح من ال سي. آي. إيه، ولكن مثل هذه الاعتبارات لاتبرئ إرهابيين رسميين.

وقع كثير من هذه العمليات الإرهابية خلال أزمة الصواريخ الكوبية، في أكتوبر - نوفمبر ١٩٦٢ ففي الأسابيع السابقة على هذه الأزمة أنبأ ريموند جراتوف بأن فريقا من الإرهابيين الكوبيين يعمل ابتداءً من فلوريدا بتصريح من الولايات المتحدة قد قام «بهجوم جرئ خاطف بالقوارب على فندق يقع على الساحل الكوبي كان من المعلوم أن عددا من الفنيين العسكريين السوفييت قد اجتمعوا فيه، راح ضحيته عشرون روسيا وكوبيا»، ثم بعد ذلك بقليل هاجم مراكب شحن بريطانية وكوبية وأغار من جديد على الساحل الكوبي. كل هذا

بين عمليات أخرى تزايدت فى أوائل أكتوبر. وحدث فى فترة من أشد الفترات تواترا خلال أزمة الصواريخ، ٨نوفمبر، أن قام فريق إرهابى مبعوث من الولايات المتحدة بنسف منشأة كوبية صناعية، وذلك على أثر ما أعلن رسميا من إيقاف عمليات مونجوس. وادعى فيدل كاسترو أن ٤٠٠ عامل راحوا ضحية هذه العملية التى كانت تسترشد بصور مأخوذة من الجو. هذا العمل الإرهابى الذى ربما كان من شأنه أن يثير حربا ذرية، لم يلق تعليقا كبيرا حين الإعلان عنه. وما أن انتهت الأزمة حتى استؤنفت فى الحال محاولات قتل كاسترو وغيرها من أعمال الإرهاب، وزاد تصعيدها على يد نيكسون فى ١٩٦٩.

واستمرت مثل هذه العمليات بعد سنوات نيكسون. ففى عام ١٩٧٦ مثلا هوجم مركبان كوبيان من مراكب الصيد فى شهر أبريل بقوارب من المركز الرئيسى للإرهاب المستهدف للمصالح الكوبية أياكان مكانها فى العالم. فبعد حدث الإغراق هذا بقليل ضربت سفارة كوبا فى البرتغال بالقنابل وقتل اثنان. وفى شهر يوليو ضربت البعثة الكوبية فى منظمة الأمم المتحدة بنيويورك كما وجه الضرب بالقنابل أيضا إلى أهداف كوبية فى منطقة الكاريبى وفى كولومبيا ـ هذا عدا محاولة لضرب اجتماع مناصر لكوبا فى أكاديمية الموسيقى بنيويورك. ثم فى شهر أغسطس اختطف موظفان بالسفارة الكوبية بأرجنتينا وضربت مكاتب الخطوط الجوية الكوبية فى بنما. ونسفت سفارة كوبا بفنزويلا فى أكتوبر وضربت بالقنابل سفارتها بمدريد فى نوفمبر. وفى أكتوبر، قام بعض الكوبيين المقيمين فى المنفى والمدربين على يد الـ سى آى. إيه بضرب طائرة مدنية كوبية فقتلوا ٧٣ هم كل ركابها، كان بينهم الفريق الكوبى الحائز على الميدالية الذهبية الدولية للمبارزة. وكان بين من أخذوا فى هذه العملية الإرهابية بنصيب لويس بوسادا كاريلس الذى سبق بروزه فى عملية خليج الخنازير، بعد أن أفلت من سجنه بفنزويلا حيث كان يقيم للمشاركة فى الضرب بالقنابل، دون أن يدرى أحد كيف هرب ولاكيف وجد طريقه إلى السلفادور حيث كلف بالعمل فى قاعدة إيلوبانجو الحربية الجوية للمشاركة فى تنظيم الأعمال الإرهابية ضد نيكاراجوا.

لقد عزا الـ سى آى. إيه ٨٩ عملية إرهابية فى الولايات المتحدة ومنطقة

البحر الكاريبى إلى جماعات من الكوبين المقيمين فى المنفى بين ١٩٦٩-١٩٧٩ ، ووصف مكتب المخابرات المباحثات الاتحادي، ف. ب. آي. ، إحدى هذه الجماعات، أوميجا٧ ، بأنها أخطر جماعة إرهابية عملت في الولايات المتحدة خلال العقد السابع.

إن كوبا يرد ذكرهامرارا وتكرارا فى المؤلفات الأكاديمية عن الإرهاب الدولى. فكتاب والتر لاكير الذى يعد مرجعا فى بابه (عصر الإرهاب) يلمح كثيرا إلى ماتتعهده كوبا من الإرهاب الدولى، وإن أثبت قليلا. ولكنك لاتجد فيه كلمة عن الأعمال الإرهابية **ضد** كوبا. إنه يقول إن «العقود الأخيرة...لم تخل فيها النظم الردعية من الإرهاب وحسب، بل هى عملت على نشره ضد النظم الأكثر تسامحا.» ومغزى هذا الكلام **أن الولايات المتحدة، وهى «مجتمع متسامح»، هى إحدى ضحايا الإرهاب الدولى، بينا كوبا، وهى «مجتمع قهرى»، إحدى مرتكبيه.** ولكن إثبات هذه القضية يقتضى أن تغفل مالاينكر من كون الولايات المتحدة قد شنت هجمات إرهابية كبرى على كوبا ومن كونها تخلو نسبيا، هى نفسها من الإرهاب؛ فإذا كانت هناك دعوى تمكن إقامتها على كوبا، فلاشك أن لاكير قد أخفق فى عرضها إخفاقا مشهودا.

فإذا انتقلنا إلى المثال الآخر الكبير عن الفترة السابقة على ريجان، سمعنا أن سكان **جنوب لبنان** قد اتخذوا رهائن منذ أوائل السبعينات «حسبانا معقولا لما سوف يتحقق فى النهاية من كون **الأهالى المصابين سوف يمارسون الضغط على حكوماتهم حتى تكف عن أعمالها العدائية» وتقبل الترتيبات التى تراها اسرائيل للمنطقة (وفاقا لكلام أباإيبان وهو يعلق على سرد مناحم بيجين رئيس الوزراء للفظائع التى ارتكبت فى لبنان فى عهد حكومة حزب العمل بأسلوب شبيه بأسلوب** «النظم التى لايجرؤ مستر بيجين ولا أجرؤ نفسى على ذكر اسمها»، كما قال أيضا إيبان، مسلما بذلك بصحة سرد بيجين.) لايفوتك أن هذا التبرير على لسان أحد حمائم حزب العمل يكفى جدا لإدراج هذه الأعمال فى باب الإرهاب (إن لم يكن العدوان). إن هذه الهجمات قتلت الآلاف وطردت عن بيوتهم مئات الالاف. وقليل ماعرف، لأن الأمر لم يكن ذا

شأن؛ أما هجمات منظمة التحرير الفلسطينية وهى هجمات همجية لكن على نطاق أقل كثيرا، فأثارت استنكارا شديدا وتغطية واسعة. ويحكى مراسل ال أ.ب .س « شارلس جلاس، وكان يعمل إذ ذاك مراسلا فى لبنان أنه «لم يلق اهتماما كبيرا من جانب رؤساء التحرير الأمريكان بأوضاع الحياة فى جنوب لبنان. فغارات اسرائيل وقصفها القرى بالمدافع والهجرة المتزايدة من لبنان الجنوبى إلى العشش المتراكمة على مشارف بيروت كانت لاشئ بالقياس إلى الروايات المثيرة عن «الإرهابيين» الذين يهددون إسرائيل ويخطفون الطائرات ويحتلون السفارات.» ويمضى فيقول إن الاستجابة لم تختلف حين بدأت فرق الموت عملها، بعد الغزو الإسرائيلى عام ١٩٨٢. كان من الممكن أن تقرأ عنها شيئا فى التايمز ولكن رؤساء التحرير فى الولايات المتحدة لم يكن يهمهم ذلك. ولو أن الميديا نقلت أخبار الموت الذى نشرته فرق شين بيت (البوليس السرى) تقتل فى ثياب مدنية من تراه من المشبوهين بين أهل القرى والمعسكرات، «مستفزة مشاعر السكان المسلمين والشيعيين، دائبة على جعل وجود المارين أمرا لايحتمل» لو أنها فعلت لربما لقيت محنة المارين فى لبنان شيئا من التقدير كان هؤلاء يبدون مجردين من كل فكرة عن السبب الذى ألقى بهم هناك، باستثناء «السود: فقد كادوا يجمعون على القول، وإن كان محزنا لأن قولهم لم يرد قط أمام الكاميرات، بأنهم إنما أرسلوا للدفاع عن الأغنياء ضد الفقراء.» «فالقطاع الوحيد من الناس الذين أمكنهم أن يروا أنفسهم فيه، فى لبنان، كان فقراء الشيعة اللاجئين الذين كانوا يعيشون حول قاعدتهم عند مطار بيروت. ومن المحزن أن يكون أحد هؤلاء الشيعة الفقراء... هو الذى قتل فى الراجح ٢٤١ منهم فى ٢٣ أكتوبر ١٩٨٣.» لو أن شيئا من هذا كله انتقلت أخباره لربما كان من الممكن تفادى، أو على الأقل تفهم، الضربة التى أودت بحياة المارينز، ضحايا لسياسة عجزت الميديا عن شرحها للجمهور وعجز ضباط الإعلام عن شرحها لجنودهم أنفسهم.

فى ١٩٧٦ دخلت سوريا لبنان بموافقة الولايات المتحدة فأضافت مذابح أخرى كان أكبرها ماوقع فى معسكر تل الزعتر للاجئين الفلسطينيين حيث قتلت الآلاف بأسلحة اسرائيلية، القواتُ المسيحية المعضدة بسوريا.

إن الأمر لايحتاج إلى الإطالة كيما يتبين أن وباء الإرهاب الدولى الذى تتولاه الدولة كان قد بدأ يزحف منذ زمن طويل قبل أن تجعل منه إدارة ريجان قضية كبرى من قضايا «الدبلوماسية الجماهيرية»

٥- القاعدة : الإرهاب بالقطاعى

إن الإرهاب بالجملة، وهو نوع الإرهاب الذى عرضناه، كاد ينحى تماما من المناقشات حول «بلاء الإرهاب الشرير.» فلنستدر إذن إلى أفعال الإرهاب الأصغر، التى تدخل فى نطاق القاعدة المتبعة.

هنا أيضا يعود الذكر إلى ماقبل العقد الثامن، وإن كان المؤلفون يبدون فى اختيارهم إمعانا فى الانحياز يفقدهم نفعهم. فمن الأمثلة التى لاتراها فى كتاب لاكير الذى صار مرجعا ـ ولن نذكر منها إلا قليلا ـ أنه بينما يذكر الطرود البريدية المتفجرة «البدائية» ينسى الطرد الرفيع الإتقان الذى استخدمته المخابرات الإسرائيلية لقتل الجنرال مصطفى حافظ بغزة عام ١٩٥٦ فى وقت كان مكلفا فيه بمنع الفدائيين الفلسطينيين من التغلغل عبر الحدود لمهاجمة الأهداف الإسرائيلية. ولايذكر لاكير فى عرضه لاستخدام الطرود شهادة يعاقوف إلياف الذى أعلن أنه كان أول من استخدم الطرود المتفجرة حين كان يعمل ضابطا فى العصابة الإرهابية التى كان يرأسها رئيس وزراء إسرائيل الحالى اسحق شامير («عصابة سترن»). فقد أمكنه وهو يعمل ابتداء من باريس عام ١٩٤٦ أن يحصل على ٧٠ قنبلة من هذا النوع لإرسالها فى ظروف من مظاريف الحكومة البريطانية إلى جميع أعضاء الوزارة البريطانية ورؤساء حزب التورى المعارض وعديد من القادة العسكريين. إلا أن البوليس البلجيكى ألقى القبض عليه مع شريك له فى يونيو ١٩٤٧ وهو بسبيل إرسال الطرود المتفجرة التى اكتشفت كلها.

كما أن القاعدة المتبعة فى ذكر حوادث اختفاء الطائرات وتفجيرها تتجنب

بعض النقاط الهامة، ومن بينها رفض الولايات المتحدة لطلب متكرر من جانب البلاد الشيوعية خلال الخمسينات بإعادة «الأشخاص الذين اختطفوا طائرات وقطارات وسفن ليفروا بها» (عن أبراهام صوفير المستشار القانونى لوزارة الخارجية الأمريكية الذى يضيف أن هذه السياسة قد «أعيد فحصها» فى أواخر العقد السادس - حين صارت الولايات المتحدة وحلفاؤها هدفا). والواقع أن إضافة صوفير هذه لاتعطى الحق كل الحق. فقد ورد فى نبأ من وكالة تاس يدين اختطاف الباخرة (آكيلى لاورو) اتهام لواشنطن بالنفاق لأنها منحت رجلين **اختطفا طائرة سوفيتية وقتلا مضيفة وعضوين من طاقم الطائرة حق الالتجاء إلى الولايات المتحدة ورفضت ترحيلهما.**

كذلك يخرج من القاعدة المتبعة أول اختطاف لطائرة ما فى الشرق الأوسط: اختطاف طائرة تابعة للخطوط الجوية السورية عام ١٩٥٤ بقصد «الحصول على رهائن من أجل الإفراج عن مساجين فى دمشق كان قد قبض عليهم وهم فى مهمة تجسس فى دمشق (رئيس الوزراء موسى شاريت). وكان أن قبل شاريت «توكيد وزارة الخارجية للولايات المتحدة أن عملنا هذا لم يسبق له مثيل بالفعل فى تاريخ المعاملات الدولية.» وفى أكتوبر عام ١٩٥٦ أسقطت اسرائيل طائرة مدنية مصرية، فقتلت ١٦ شخصا بينهم أربعة صحافيين، فى محاولة فاشلة من أجل اغتيال الفريق عبد الحكيم عامر، الرجل الثانى بعد الرئيس عبد الناصر، وذلك فى وقت لم تكن فيه البلدان فى حالة حرب. تلك كانت عملية مدبرة بخلاف إسقاط إسرائيل الذى ترتب عليه قتل ١١٠ راكبا لطائرة ليبية تاهت فى عاصفة رملية على بعد دقيقتين من القاهرة حيث كانت تتجه. وقع ذلك فى فبراير ١٩٧٣ بينما كانت قوات اسرائيل المنقولة بالطيارات وقواها البرمائية تهاجم طرابلس فى شمال لبنان فقتلت ٣١ شخصا (معظمهم مدنيون) ودمرت فصولا مدرسية ومستشفيات وأبنية أخرى فى غارة بررت بكونها غارة وقائية. كل هذا كان ينحى جانبا كأمر غير ذى شأن - لو حتى لقى انتباها. أما رد الفعل على الإرهاب العربى فكان أمرا مختلفا جد الاختلاف.

فإذا مضينا إلى العقد الثامن، فانظر ١٩٨٥، حين بلغ انشغال الميديا أوجه. لقد كان الحدث الإرهابى الأكبر تلك السنة هو تفجير طائرة هندية تفجيرا قتل

٣٢٩ شخصا. كان الإرهابيون قد تدربوا فى معسكر شبه حربى فى ألاباما يشرف عليه فرانك كامبر، حيث كان المرتزقة يتدربون على أعمال الإرهاب فى أمريكا الوسطى وغيرها من الجهات. ويشهد مرتزقة سابقون بأن كامبر كان على صلة وثيقة بالمخابرات الأمريكية وأنه كان ضالعا فى عملية تفجير الطائرة الهندية التى قيل إنها كانت عملية «نغز» انفلت عيارها. ولما زار الهند قاضى التحقيق العسكرى الجنرال إدوين ميز سلم بشكل غير صريح بأن العملية الإرهابية نبعت من معسكر للتدريب على الإرهاب بالولايات المتحدة: هذا بينما تكفى صلة أى إرهابى بليبيا، مهما وهنت، فى إثبات أن القذافى «كلب مسعور» يجب إسقاطه.

أما الشرق الأوسط، وهو بحسب القاعدة المركز الرئيسى للإرهاب، فقد كان أسوأ الأحداث فيه عام ١٩٨٥ تفجير عربة ببيروت فى ٨ مارس تفجيرا راح ضحيته ٨٠ قتيلا و ٢٥٦ جريحا، ووصفته نورا بستانى بعد وقوعه بثلاث سنوات فقالت :«تلقت صدمة الانفجار نحو ٢٥٠ فتاة وامرأة وهن يتدفقن فى عباءاتهن السوداوات الفضفاضة بعد صلاة الجمعة بجامع الإمام رضى. فقتلت منهن أربعون على الأقل وبتر عدد يزيد على ذلك كثيرا.» وكان من أثر الانفجار أيضا أ ن دمر الشارع الرئيسى فى بيروت الغربية الكثيفة السكان و «أحرق أطفالا فى مهدهم» و «قتل عروسا تشترى جهازها» و «نسف ثلاثة أطفال وهم عائدون إلى بيوتهم من الجامع». أما الهدف فكان الزعيم الشيعى الشيخ فضل الله المتهم بتواطئه مع الإرهاب، لكنه نجا. من هذه الهجمة التى دبرتها ال سى.آى.إيه، بمساعدة المخابرات اللبنانية وخبير بريطانى، ورخصها تحديدا مدير ال سى.آى.إيه وليم كيزى، حسب رواية بوب وُدورد فى كتابه عن كيزى وال سى.آى.إيه.

يبدو إذن أننا حتى لو أخذنا بالمعايير التى اختارتها هى، لحازت الولايات المتحدة قصب السبق فى الإرهاب الدولى خلال السنة التى بلغ فيها الإرهاب الرسمى أوجه. تليها مباشرة دولتها العميلة اسرائيل، فلا شئ يعدل عمليات «القبضة الحديدية» التى وجهتها تلك السنة إلى لبنان من حيث كانت سلسلة لاتنقطع من عمليات الإرهاب فى الشرق الأوسط، فظفر بعد ذلك بالجائزة الثانية

فى أعمال الإرهاب المنفردة ضرب تونس بالقنابل (بتأييد الولايات المتحدة) ـ هذا إلا إذا اعتبرنا هذا العمل عدوانا صريحا، كما ارتأى مجلس الأمن لمنظمة الأمم المتحدة.

أما فى عام ١٩٨٦ فكان أكبر عمل إرهابى منفرد هو قذف ليبيا بالقنابل ـ هذا إذا افترضنا مرة أخرى أن هذا الهجوم لايدخل فى مقولة العدوان. لقد كان ذلك حقا حدثا أخرج على مسرح الميديا إخراجا رائعا، كان أول قذف بالقنابل يعرفه التاريخ أعده مدبروه للساعة التى تبدأ فيها شبكات التليفزيون برامجها الجديدة. هذا الإعداد المواتى كان يتيح لرجال الشبكة المتأهبين الانتقال على الفور إلى طرابلس بحيث يتسنى للمشاهدين رؤية الأحداث المثيرة على الطبيعة. وكان الفصل الثانى من هذه الدراما التليفزيونية المتقنة بحرفية لاتدانى سلسلة من المحاضرات الجديدة وتصريحات البيت الأبيض تعلن أن ذلك كان «دفاعا عن النفس ضد هجوم مستقبل» وردا متوازنا على مسئولية ليبيا المزعومة فى القنبلة التى أصابت إحدى دور الديسكو فى برلين الغربية قبل ذلك بعشرة أيام. كانت الميديا تعلم حق العلم أن هذه التهمة لاتقوم على أساس متين ولكن الحقائق تم نسيانها فى غمرة الإعجاب العام بموقف ريجان الحازم تجاه الإرهاب، إعجابا ترددت أصداؤه فى شتى الأوساط السياسية. ومن هذه اللحظة فصاعدا نحى جانبا كل إعلام من شأنه التشكيك فى تهم الولايات المتحدة. ثم لما لقى قيام هذه التهم على غير أساس تسليما خجولا بصحته بعد ذلك، ظل التلوك بصحتها مستمرا دون أن تستخرج قط النتائج التى تلزم عن هذا التسليم.

فعام ١٩٨٦ يبدو أيضا أن الولايات المتحدة تحتل فيه مكانا طيبا فى التنافس على جائزة الإرهاب الدولى ـ حتى بغض النظر عن الإرهاب الذى تعهدته بالجملة فى أمريكا الوسطى ـ إذ رد الكونجرس هذا العام، فيما وصفته الإدارة وهى تزغرد بكونه كان إعلانا ضمنيا للحرب، على نداء المحكمة العالمية بوضع حد «للاستخدام غير القانونى للقوة» بأن وافق على مساعدة لقوى الولايات المتحدة الصنيعة قدرها ١٠٠ مليون دولار.

٦- الإرهاب والمقاومة

لنبحث الآن عددا من نقاط الجدل تركناه جانبا فيما سبق.

انظر الحد الفاصل بين الإرهاب والمقاومة المشروعة. إن الجماعات الوطنية لاتتردد أحيانا فى وصف نشاطها بكونه نشاطا إرهابيا كما أن عددا من الزعماء السياسيين المحترمين يأبى إدانة الإرهاب فى القضايا الوطنية. ومن أول الأمثلة فى معرض هذه المناقشة نشاط الحركة الصهيونية قبل قيام الدولة. إن اسرائيل هى النبع الرئيسى لـ «صناعة الإرهاب» فى العقد الثامن (ومنها إلى تطويرها الأبعد بالولايات المتحدة) باعتبار هذه الصناعة سلاحا إيديولوجيا ضد الفلسطينيين. إن منظمة التحرير الفلسطينية ملعونة فى الولايات المتحدة. يقضى عهد خاص من الكونجرس، عهد مكافحة الإرهاب عام ١٩٨٧ «ألا يتلقى المواطنون الأمريكيون من فتح أى معونة أو مال أو أى شئ ذى قيمة عدا المواد الإعلامية» وألا يؤذن لهذه المنظمة بمكاتب أو تسهيلات أخرى تعزز مصالحها. إدانة العنف الفلسطينى لقيت قبولا شمل العالم.

إن الحركة الصهيونية قامت بإرهاب واسع النطاق ضد المدنيين العرب والبريطانيين واليهود وقتلت أيضا فولكن برنادوث ( )الذى حظى قتلته بالحماية بعد إنشاء الدولة). وفى عام ١٩٤٣ كتب رئيس الوزراء اسحق شامير مقالا فى صحيفة المنظمة الإرهابية التى كان يرأسها (ليهى، عصابة شترن) أراد به أن «يزيح جميع المخاوف المرضية (فوبيا) والتهتهات ضد الإرهاب بحجج بسيطة واضحة.» فقال :«إنه لا الأخلاق اليهودية **«ولا العرف اليهودى»** يمكن استعمالهما لتحريم الإرهاب كطريقة من طرق الحرب. إنا أبعد مايكون عن التردد الأخلاقى إذ نُشغل بالكفاح الوطنى.«فالإرهاب، أولا وإلى أبعد حد، هو عندنا جزء من الحرب السياسية تقتضيه ظروف اليوم، ورسالته رسالة كبرى : أن يثبت بأوضح لغة وبصوت يسمعه العالم كله بما فى ذلك إخواننا التعساء الذين يعيشون خارج أبواب هذا البلد إننا فى حرب ضد المحتل.» [1]المحتل =

بريطانيا]ولقد لحظ الكثيرون في إسرائيل أن الاحتلال البريطاني كان أقل قمعا بكثير من حكم إسرائيل في الأراضي المحتلة وكان يلاقي مقاومة أشد بكثير عنفا.

ويذكر الفيلسوف إيشايا برلين أن حاييم وايزمان، وهو أول رئيس لإسرائيل ويُعد أحد الوجوه المكرمة في نظر الحركة الوطنية،

«لم يكن يراه أمرا مقبولا أن يندد المرء بعمل (بالإرهاب اليهودي) أو بالقائمين به... إنه لايعتزم التحدث ضد أعمال مهما كان إجرامها في نظره. فإنها تصدر عن نفوس معذبة زج بهم إلى اليأس وتأهبوا لبذل حياتهم إنقاذا لإخوانهم مما كان يعتقد، هو وهم، أنه كان خيانة وتدميرا متعمدا دبرته لهم وزارات الخارجية بالدول الغربية.

وتضم وثائق أهم حركات المقاومة الصهيونية، الهاجاناه، أسماء ٤٠ يهوديا قتلتهم إرجون عصابة مناحم بيجين وعصابة ليهي. أما قيام اسحق شامير شخصيا بقتل شريك في ليهي فحادثة معروفة. وإذا كان التاريخ الرسمي لإرجون ينوه في إعجاب بأعمال الإرهاب المرتكبة ضد المدنيين العرب، فإنه يذكر أيضا مصرع يهودي خشي منه أن يدلي بمعلومات للبوليس لو ألقى القبض عليه. كان المشتبه في تعاونهم (مع العدو) هدفا بنوع خاص. لذا قامت الفرق المسماه بفرق العمل المخصوص «بحملات عقابية» ضد المبلغين اليهود، احتوى سجن للهاجاناه في حيفا حجرة للتعذيب لسؤال اليهود المشتبه في تعاونهم مع البريطانيين. ويصف دوف تسيسس في حديث أدلى به عام ١٩٨٨، عمله كمستجوب من قبل الهاجاناه «متبعا أوامر، قتل النازيين» بـ «إزاحة» اليهود الذين يعوقون الكفاح الوطني. و «بخاصة المبلغين» وينفي ماينسب عادة إلى إرجون من قيامها وحدها بجريمة نسف فندق الملك دافيد القاتلة، قائلا إنه كان المندوب الخاص عن قائد الهاجاناه اسحق زاده الذي أذن بها. ثم بعد ذلك أوصى به موسى ديان ليحل محله قائدا لوحدة مختارة. كذلك يصف من قاوموا النازية مصرع من تعاونوا معها في طول أوروبا وعرضها. ويذكر «**اسرائيل شاهاك**»، وهو من طلائع المنادين بالحرية المدنية في اسرائيل وأحد من نجوا من جيتو وارسو ومعسكرات الاعتقال أنه «قبل أن تندلع ثورة الجيتو في

وارسو... كانت المقاومة تحت الأرضية اليهودية تصرع، ومعها كل الحق، كل يهودى متواطئ (مع النازيين) أمكنها العثور عليه.» كما يذكر ذكرى حيّة من ذكريات طفولة تعود إلى فبراير ١٩٤٣، «حين أخذت أرقص وأغنى مع أطفال آخرين حول جثة [متواطئ يهودى مقتول] كان الدم لايزال يفيض منها، وما أشعر بالأسف حتى اللحظة الراهنة، بل العكس.»

يبقى أنه إذا كان الاعتراف الصريح بالإرهاب على طراز شامير أمرا لانصادفه إلا لماما، فالنموذج الشائع هو أن تعد الأعمال الموجهة ضد النظم القمعية وجيوش الاحتلال مقاومة من جانب المقدمين عليها وإرهابا من جانب الحكام، حتى لو خلت من العنف. فما عدته الديموقراطيات الغربية مقاومة فى أوروبا المحتلة وأفغانستان، دمغه النازيون والاتحاد السوفييتى بالإرهاب - لابل إرهاب مستوحى من الخارج، إذاً إرهاب دولى. ووقفت الولايات المتحدة نفس الموقف من جنوب فيتنام الذى تحمل عبء هجومها.

على هذا الأساس تحفظت إفريقيا الجنوبية تحفظا شديدا إزاء الاصطلاحات الدولية الخاصة بالإرهاب، واعترضت، على سبيل التحديد، على قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة رقم ١٥٩/٤٢ (٧ديسمبر ١٩٨٧) لأن الجمعية العمومية وإن أدانت الإرهاب الدولى نصت على التدابير الكفيلة بمكافحته.

> تعتبر أنه مامن شئ فى هذا القرار يمكن أن يمس بأى حال من الأحوال حق تقرير المصير والحرية والاستقلال، كما يخرج من ميثاق الأمم المتحدة، بما هو حق للشعوب المحرومة بالقوة من هذا الحق... وبخاصة الشعوب الواقعة تحت نظم استعمارية وعنصرية أو احتلال أجنبى أو صور السيطرة الاستعمارية الأخرى، ولاحق... هذه الشعوب فى الكفاح من أجل هذه الغاية وفى البحث عن المساعدة وتلقيها [اتفاقا مع الميثاق والمبادئ الأخرى للقانون الدولى].

إذا كانت الجماعة الدولية قد أخذت بهذا النص فيما يقارب الإجماع، فإن إفريقيا الجنوبية لم تنفرد بمعارضته. فالقرار قد مر بأغلبية ١٥٣ صوتا ضد

صوتين، هما صوتا الولايات المتحدة واسرائيل، بينما امتنعت هندوراس وحدها عن التصويت. فى هذه الحالة، لقيت الحكومة تأييدا واسعا فى الولايات المتحدة. فمن المسلم به ضمنا فى جميع الدوائر الناطقة بالرأى فى الولايات المتحدة أن موقف إفريقيا الجنوبية موقف صائب، لا بل هو لايقبل جدلا.

وبلغت القضية أوج حدتها فى أواخر ١٩٨٨ بمناسبة القضية الفلسطينية. ففى نوفمبر، أعلن المجلس الفلسطينى الوطنى قيام دولة فلسطينية مستقلة إلى جانب اسرائيل، معلنا أخذه بقرار الأمم المتحدة الخاص بالإرهاب وبغيره من القرارات المتعلقة بهذه القضية. وكرر ياسر عرفات هذا الموقف فى الأسابيع التالية فى أوروبا، بما فى ذلك جلسة خاصة عقدتها الجمعية العمومية بجنيف بعد أن منعت الولايات المتحدة دخوله فى نيويورك (مع مافى هذا المنع من مخالفة لواجباتها القانونية تجاه الأمم المتحدة) احتجاجا بأن وجوده يمثل خطرا غير مقبول لأمن الولايات المتحدة. فلما كرر المجلس الفلسطينى الوطنى وكرر عرفات إلتزامهما بقرار الأمم المتحدة، رفضت الولايات المتحدة هذا التوكيد احتجاجا بأن القيادة الفلسطينية لم تف بشروط واشنطن عن المسلك الحميد، بما فيها «التخلى عن الإرهاب فى كل صوره» بلا أى قيد. ولم يكن القيد المشار إليه إلا القيد الذى أخذت به الجماعة العالمية، باستثناء الولايات المتحدة وإسرائيل (وإفريقيا الجنوبية).
فى هذا المعرض هزأ تحرير صحيفة نيويورك تايمز بقبول المجلس الفلسطينى الوطنى للمواثيق الدولية عن الإرهاب على أنه «زوغان عرفات القديم المعهد». أما أنتونى لويس الذى يقف فى هذه المواضيع على حدود الانشقاق المقبول، فقد كتب يقول إن عرفات قد أبدى تقدما، لكنه ليس تقدما كافيا : إن الولايات المتحدة تقول عن حق إن فتح يجب أن تتخلى بلاإبهام عن كل إرهاب قبل المشاركة فى المفاوضات»، وهذا الشرط الوجيه لم يستوف بعد. ولم تخرج الاستجابة العامة عن هذه الحدود.

إن المنطق واضح لا خفاء فيه. إن فتح رفضت اللحاق بركب الولايات المتحدة

وإسرائيل وإفريقيا الجنوبية، وعليه فقد استحقت إما الاستهزاء (من المتشددين)أو التشجيع على تقدمها المحدود وإن لم يكن كافيا (من المنشقين).

فلما صارت الولايات المتحدة فى عزلة ديبلوماسية، فى ديسمبر ١٩٨٨، أخرجت واشنطن موقفا بديلا من جعبتها. فادعت أن عرفات قد استسلم أخيرا لشروط الولايات المتحدة، رغم أن موقفه لم يتغير على أى نحو جوهرى ـ منذ سنوات، فى الحقيقة. ومادام عرفات قد استسلم لشروط الولايات المتحدة، فقد صار من الممكن مكافئته بقرار منها يخول له التفاوض مع سفيرها فى تونس. أما المأرب كما فهمه وزير الدفاع الاسرائيلى اسحق رابين، فكان أن ترفع المناقشات بين الولايات المتحدة وفتح وطأة الضغوط الديبلوماسية من أجل التسوية ومنح اسرائيل سنة أو أكثر لقمع الانتفاضة الفلسطينية «بالضغط العسكرى والاقتصادى الذى لايليق»حتى «يتم كسرهم.»

إن السؤال عما إذا كان الأمر إرهابا أو مقاومة قد أثير على الفور خلال هذه المناقشات. فقد تسربت محاضر الجلسة الأولى إلى صحيفة **جيروسالم بوست** التى نشرتها معربة عن سرورها لأن «ممثل أمريكا احتضن المواقف الإسرائيلية» فأعرب عن شرطين حاسمين يجب على فتح قبولهما : عليها أن تضع حدا للانتفاضة، وعليها أن تترك فكرة المؤتمر الدولى. أما فيما يتعلق بالانتفاضة فقد أعربت الولايات المتحدة عن موقفها كما يلى :

> *ليس هناك أدنى شك فى أن الصراع الداخلى الذى نشهده اليوم فى الأراضى المحتلة يهدف إلى تقويض أمن دولة إسرائيل واستقرارها، وعليه فنحن نطلب إيقاف هذه المظاهرات التى* ***نعدها أعمالا إرهابية ضد إسرائيل****. ويصدق ذلك بنوع خاص لما نعلمه من أنكم تديرون من خارج الأراضى هذه المظاهرات. التى تبلغ أحيانا حدا كبيرا من العنف.فإذا ماأبطل هذا الإرهاب واستعيدت ظروف الإرهاب السابقة، فستأخذ الولايات المتحدة وإسرائيل بعد ذلك فى تسوية الأمور على*

النحو الذى يرضيهما.

هكذا نرى، مرة أخرى، أن مقاومة سكان مقهورين لاحتلال عسكرى ضار، تعد «إرهابا» من وجهة نظر المحتلين والسيد الذى ينفق عليهم.

لقد أثيرت نفس القضية خلال عمليات القبضة الحديدية التى قام بها عام ١٩٨٥ الجيش الإسرائيلى فى جنوب لبنان. هذه العمليات أيضا كانت تسترشد المنطق الذى صاغه أباإيبان فيما سبق ذكره. اتخذ السكان المدنيون رهائن للتهديد بالإرهاب ضمانا لقبولهم للتسوية السياسية التى أملتها إسرائيل على لبنان الجنوبى والمناطق المحتلة. وإنه لتهديد يسهل تنفيذه كلما اقتضت المشيئة. ولنكتف بذكر مثل واحد : بينما كانت أعين العالم مشدودة إلى فظاعة الإرهابيين العرب، ذكرت الصحف أن قوة الدبابات الإسرائيلية قد أطلقت من مدافعها فيضا من النيران فى قرية سريفة بلبنان الجنوبى، مستهدفة ثلاثين منزلا ادعى الجيش الإسرائيلى أن «إرهابيين مسلحين» قد أطلقوا منها النار على الجيش الإسرائيلى مقاومة منهم لعملياته العسكرية وهو يبحث عن جنديين إسرائيليين «اختطفا» فى «منطقة الأمن» التى اقتطعتها إسرائيل من لبنان. ولكن الصحافة الأمريكية قد قُبض عنها تقرير قوات السلام التابعة للأمم المتحدة بأن جيش الدفاع الإسرائيلى قد «جن جنونه فعلا» خلال هذه العمليات، فطوّق قرى بأسرها مانعا قوات الأمم المتحدة من أن ترسل الماء والحليب والبرتقال إلى القرويين الذين كان «يستجوبهم» جيش الدفاع هذا أو مرتزقته المحليون. ثم بعد ذلك انصرف هذا الجيش مصطحبا عددا من الرهائن بينهم امرأة حامل وأخذ معه البعض إلى اسرائيل خلافا لما يقضى به القانون الدولى، يدمر بيوتا وينهب ويحطم أخرى. وقال اسحق شامير الذى تمتدحه الولايات المتحدة كداعية سلام، قال إن بحث إسرائيل «يعرب عن مدى تقديرها لقيمة الحياة الإنسانسة وكرامتها.»

فضحايا عمليات القبضة الحديدية هم عند قيادة إسرائيل العليا «إرهابيون قرويون»؛ لذا كان أمرا مفهوما أن يقتل ١٣ قرويا على يد ميليشيا القوات الإسرائيلية المرتزقة فى الحادثة التى حازت هذا التعليق. أما مالاحظه يوسف أولمرت، وهو عضو فى معهد إسرائيل للدراسات الإسرائيلية، أن «هؤلاء

الإرهابيين يعملون بتأييد من غالبية السكان المحليين»؟ أما ماشكا منه ضابط إسرائيلى من أن «الإرهابى... له أكثر من عين، لأنه يعمل هنا»؟ أما مراسل صحيفة جيروسالم بوست (هيرش جودمان) فوصف المشكلات التى يواجهها مكافحة «الإرهابيين المرتزقة» : «قوم متفانون تفانيا أعمى فى عقائدهم، [1] جميعهم منقطعون لقضاياهم إلى حد المجازفة بأن يكون مصيرهم القتل وهم يعملون ضد جيش الدفاع الإسرائيلى» الذى يجب «أن يحافظ على النظام والأمن» رغم «الثمن الذى سيتحتم دفعه على الأهالى.»

ويلقى تصور مشابه للإرهاب استعمالا واسعا بين رجال الولايات المتحدة الرسميين ومعلقيها. فذكرت الصحافة عن وزير الخارجية شولتز أن انشغاله بالإرهاب الدولى بات «الانفعال الذى يتملكه» بعد التفجير الانتحارى الذى أودى بحياة المارين الأمريكان فى أكتوبر ١٩٨٣وهم قوات لم يكن معظـــم السكان يراها إلا على أنها قوة عسكرية أرسلت لفرض «النظام الجديد» الذى أرست قواعده إسرائيل : حكم الجناح الأيمن من المسيحيين والنخبة من المسلمين.ومافكرت الميديا فى أن تجلب الشهود من نيكاراجوا أو أنجولا ولبنان والأراضى المحتلة وغيرها ليكونوا شهودا لشولتز على «الانفعال الذى تملكه»، لاهى فكرت فيه إذ ذاك ولاحين جددت مديحها لما لمسته فيه من «ازدراء الإرهاب ازدراء دخل فى أحشائه» ومن شنه «حربا صليبية شخصية» عليه، وهو يشرح رفضه السماح لعرفات بالكلام أمام الأمم المتحدة.

لاشك أن سوريا أيضا تعد اللبنانيين الذين يقاومون حكمها الدموى «إرهابيين»، ولكن مثل هذا الادعاء من جانبها لايستحق سوى السخرية والزراية. فالاستجابات تختلف باختلاف من يلعب الدور.

١- ترد فى الأصل هنا صفة يكثر استخدامها فى الحديث عن المسلمين (فاناتيك)لامرادف لها بالعربية. صحيح أن العادة جرت بترجمتها بلفظ «متعصب»، ولكن هذه الترجمة لاتنقل شيئا من معناها الذى آثرت أداءه ولو بشئ من اللف. أليس غريبا أن يتهم قوم بصفة لاوجود لها فى لغتهم؟ [هامش من المترجم.]

٧- الإرهاب والقصاص

إن تصور القصاص حيلة نافعة في الحرب الإيديولوجية. ففي دائرة من العنف ابتداءً ورداً، يتميز كل فريق بتصور أفعاله ردا على إرهاب الخصم. ويزودنا الصراع الإسرائيلي - العربي في الشرق الأوسط بأمثلة عدة على ذلك. ولما كانت اسرائيل دولة عملية، احتضن مسلك الولايات المتحدة مصطلحاتها.

خذ مثلا اختطاف آشيل لاورو ومصرع ليون كلينجهوفر - وهو قطعا عمل دنئ من أعمال الإرهاب. إلا أن الإرهابيين لم يروا عملهم إرهابا بل ردا على ماقامت به اسرائيل منذ أسبوع - قبل ذلك - من قذف تونس بالقنابل قذفا قتل ٢٠ تونسيا و٥٥ فلسطينيا بقنابل ذكية مزقت الناس إربا حتى استحالت معرفتهم - بين الفظائع الأخرى التي وصفها الصحفي الإسرائيلي آمنون كابيلوك وهو هناك. وأخذت واشنطن بنصيبها في الأمر إذ رفضت إخطار حليفتها تونس بأن القاذفات كانت في طريقها إليها، وتلفن جورج شولتز إلى وزير الخارجية الإسرائيلي اسحق شامير ليخبره بما تكنه الإدارة الأمريكية من «تعاطف شديد مع عميل إسرائيل»، على ماأوردته الصحف. صحيح أن شولتز تراجع عن هذا الاستحسان المكشوف حين ندد مجلس الأمن بالإجماع (وامتناع أمريكا) بهذا القذف على أنه «عمل من أعمال الاعتداء المسلح.» ولكن رئيس الوزراء شيمون بيريز لقي ترحيب واشنطن أياما قليلة بعد ذلك بينما نوهت الصحف بمشاوراته مع الرئيس ريجان في موضوع «وباء الإرهاب الشرير» ووسائل مكافحته.

في نظر الولايات المتحدة، لم يكن قذف تونس بالقنابل إرهابا أو اعتداء بل قصاصا مشروعا على مقتل ثلاثة من الإسرائيليين في لارناكا، بقبرص، ووصف شولتز هذا القذف بأنه كان «ردا مشروعا» على «هجمات إرهابية»، ملاقيا استحسانا عاما. أما قتلة لارناكا فكانوا على الأرجح، كما سلمت به إسرائيل، على صلة بسوريا لابتونس، التي اختيرت هدفا لأنها كانت بلادفاع، ثم بعد

ذلك بشهور قليلة اختارت الولايات المتحدة المدن الليبية هدفا لقنابلها، لنفس الأسباب إلى حد ما.

أما مرتكبو جريمة لارناكا الشنعاء فكانوا، بدورهم لايعدون عملهم إرهابا بل قصاصا. فصنيعهم كان، حسب ماأعلنوا، ردا على مادأبت عليه اسرائيل منذ سنوات من اختطاف المراكب فى المياه الدولية، دون أن تستثنى العابرات المدنية بين قبرص ولبنان، وبما تضمنه ذلك من القبض على عدد غفير من الناس، بينهم مايزيد على المائة احتجزوا فى السجون الإسرائيلية بلا محاكمة، ومن قتل الكثيرين، بعضهم بالبنادق الاسرائيلية وهم يحاولون التشبث بحطام سفنهم الغارقة، حسب رواية بعض الناجين المستجوبين فى السجن. هذه الأعمال الاسرائيلية الإرهابية تذكر أحيانا على الهامش. مثال ذلك أنه بعد أن تم تبادل للمساجين فى ١٩٨٣ أشارت **صحيفة نيويورك تايمز** فى الفقرة ١٨ من قصة ظهرت فى الصفحة الأولى أن ٣٧ من المسجونين العرب الذين احتجزوا فى غرفة تعذيب الأنصار المشهورة فى جنوب لبنان «قد ألقى الأسطول الاسرائيلى القبض عليهم وهم فى طريقهم من قبرص إلى طرابلس» شمال بيروت. وفى عام ١٩٨٩ نشرت صحيفة **واشنطن بوست** قصة عن الإفراج عن عدد من المساجين الفلسطينيين، اعتقلت الإدارة كثيرا منهم فى «السجن المزعوم وجوده بمدينة كستيروت فى النجف» ـ وهو أيضا غرفة تعذيب أخرى. وكان بين ماروته القصة على الهامش أنه «فى أثناء ذلك استوقف الأسطول الاسرائيلى، قبيل الفجر، مركبا يبحر من لبنان إلى قبرص، فألقت القبض على ١٤ شخصا يشتبه فى كونهم إرهابيين» وأخذتهم إلى إسرائيل «للاستجواب». وجاء فى تقرير للمنظمة الإسرائيلية للسلام داى ليكيبوش أنه فى عام ١٩٨٦ ـ ٧ أدانت المحاكم الإسرائيلية العسكرية العشرات من الناس الذين اختطفوا بالبحر أو فى لبنان بتهمة «الانتماء إلى منظمة ممنوعة» لابعمل ماضد اسرائيل أو بالتخطيط لمثل هذا العمل؛ وإنما عزى إلى الفلسطينيين الانتماء إلى فتح، وإلى اللبنانيين الانتماء إلى حزب الله، وفى حالة واحدة على الأقل عزى الانتماء إلى المنظمة الشيعية الكبيرة أمل ـ وكلها ذات صفة قانونية فى لبنان. فلو اتبعنا نفس المنطق، لجاز لقوات الاحتلال البريطانية أن تختطف الصهيونيين فى الولايات

المتحدة أو فى أعالى البر عام ١٩٤٧، وأن تضعهم فى سجون معسكرات بدون تهمة أو بإدانتهم بتأييد الإرهاب. *إلا أن هذه العمليات الاسرائيلية قلما كانت* موضع نقاش ولاتدخل فى القاعدة.

إن تصورى للإرهاب والقصاص أنهما أدوات مطاطة، جاهزة للتطويع مع احتياجات الساعة.

٨- من المأخذ الحرفى الى الضرورة المذهبية

إن العرض الذى فرغنا منه للإرهاب الذى تديره على المستوى الدولى دولٌ (لاأفراد أو جماعات) يشوبه خلل جدى : فهو قد اتبع الاخذ الساذج بالحرف، ومن ثم لم يعد له محل فى الجدل المعاصر حول وباء العصر الحديث.

ثم إن هذا العرض بعيد كل البعد عن الاستغراق فإن هو إلا خدش على السطح حتى فيما يتصل بأمريكا الوسطى، والشرق الأوسط، ولايقتصر الوباء بحال من الأحوال على هاتين المنطقتين. لكنه يكفى لإثارة قليل من الأسئلة. بينها سؤال يبرز على نحو أخص : كيف أمكن الأساتذة والميديا أن يأخذوا بالرأى القائل بأن وباء العصر الحاضر يمكن اقتفاء أثره ورده إلى شبكة سوفيتية القاعدة «ممتدة فى أنحاء العالم بغية الإخلال باستقرار المجتمع الغربى الديمقراطى؟» كيف أمكن النص على أن إيران وليبيا وفتح وكوبا وغيرهم من الأعداء الرسميين على أنهم الرؤوس التى تقود ممارسى الإرهاب الدولى.

الجواب لايصعب عليه. علينا أن نتخلى عن نهج الأخذ بالحرف وأن نسلم بأن الأعمال الإرهابية لاتدخل فى نطاق القاعدة إلا حين يزاولها الأعداء الرسميون. فإن كان الفاعل هو الولايات المتحدة وعملاؤها، فهى أعمال قصاص ودفاع عن النفس من أجل خدمة الديموقراطية وحقوق الانسان. عندئذ يصبح كل شئ واضحاً.

فإذا استدرنا إلى العلاج الممكن للبلاء رأينا التآليف المتفقه والمعايير التى تمليها القاعدة، تقدم لنا بعض الاقتراحات. ففى رأى والترلاكير أن «الطريق الواضح للاقتصاص» من الإرهاب الدولى هو، طبعا، «أن نرد الثمن إلى

متعهدين بنفس عُملتهم»، وإن كان مثل هذا الردع المشروع قد يصعب على المجتمعات الغربية التى تعجز عن أن تفهم كيف لايشاطرها الآخرون«معاييرها من الديموقراطية والحرية والإنسانية. » غير أن من الواجب هنا، قبل أن ينزلق المصابون بالتزام الحرف إلى نتائج خاطئة، من الواجب توكيد أن الرد المشروع لاينسحب على قنابل فى واشنطن وتل أبيب، نظرا لما بذل من العناية فى صك تصور الإرهاب.

لقد لجأت صحيفة نيويورك تايمز إلى خبير فى الإرهاب كى يجود بآرائه فى سبل مواجهة هذا البلاء. فكانت نصيحته، المبنية على خبرة طويلة، خالية من الالتواء :«الإرهابيون، وبخاصة قوادهم، تجب إزاحتهم. » ثم ضرب ثلاثة أمثلة على الضربات الناجحة للإرهاب :قذف ليبيا بالقنابل على يد الولايات المتحدة، قذف تونس على يد اسرائيل، غزو اسرائيل للبنان. وهو يوصى بالزيادة «إذا أراد العالم المتحضر أن تكون له السيادة. » وعنونت مجلة تايمز مقالة بهذا العنوان :«الوقت حان منذ أمد كيما نسحق المسخ»، ولكى تبرز مضمون العنوان أضافت :«أوقفوا قتل الأبرياء. » أما المؤلف، فاكتفت بتقديمه بصفته «وزير التجارة والصناعة لاسرائيل. » اسمه أريل شارون. وسيرته كإرهابى، التى تعود إلى سنوات الخمسينات، تشمل ذبح ٦٩ قرويا فى ليبيا و٢٠ فى معسكر اللاجئين بالبريج عام ١٩٥٣؛ عدا عمليات إرهابية فى منطقة غزة والشمال الشرقى لشبه جزيرة سيناء فى أوائل السبعينات، شملت طرد عشرة آلاف مزارع إلى الصحراء وهدم منازلهم بالبلدوزر وتدمير مزارعهم تمهيدا للمستوطنات اليهودية؛ ثم غزو لبنان فى محاولة كانت تهدف ـ وهو مايسلم به الكثيرون الآن ـ إلى مغالبة خطر ديبلوماسية فتح؛ ثم ماتلا الغزو من مذابح صبرا وشاتيلا؛ وأشياء أخرى.

إن اختيار آريل شارون ليزود «العالم المتحضر» بنصائحه عن كيفية «وقف مذابح الأبرياء» قد يبدو للبعض شيئا غريبا، ربما انطوى على انحراف فى الأذواق، بل على نفاق ورياء. ولكن الأمر غير واضح كل الوضوح. لأن هذا الاختيار لاينشز عن القيم التى يعرب عنها العمل، وعن الثقافة العقلية التى يعرب عنها الكلام ـ أو الصمت.

وبوسعنا أن نلاحظ، تأييدا لهذه النتيجة، أن علاج الإرهاب الدولى لايخرج - أو على الأقل لايخرج قسط مهم منه - عن طوقنا. ولكن لاعمل يقوم من أجل هذه الغاية، لا بل لايتناوله النقاش أبدا. لا بل صارت مناقشته أمرا يخرج عن التصور فى الدوائر المحترمة. بل الأصدق أن المرء يلقى عناقا يهنئنا جميعا على نوايانا الكريمة ونبل مقصدنا، وعلى سمو «معاييرنا من الديموقراطية والحرية والإنسانية»، وإن جانبها السداد أحيانا فى التطبيق. الوقائع الأولية تعصى على الإدراك، والأفكار الواضحة على الفكر. الحقائق البسيطة، إذا ما أعربت عنها، أثارت اللاتصديق والاستفظاع والاستنكار - لأنك نطقت بها.

فى مثل هذا الجو الأخلاقى، يجوز لكبرى صحف العالم أن تختار آريل شارون ليسدى إلينا النصح فى شرور الإرهاب وكيف نكافحها.

(٢)

«الإرهاب» كإيديولوجيا وصناعة ثقافية

إدوارد هرمان و جيرى أوسليفان

١- مقدمة

حظيت كلمة «الإرهاب» بدوى واسع فى الغرب خلال العقود الأخيرة. وجرى العرف على تعليل ذلك بازدياد النشاط الإرهابى الذى يعزى بدوره، من جهة، إلى قدرة الإرهابيين على إبلاغ أصواتهم بفضل أعمال العنف فى الغرب «المفتوح»، ومن جهة أخرى إلى مساندة السوفييت وتحريضهم.

أما الرأى الآخر الذى لاتقرأه فى جُملة ماينشر والذى نريد أن نخصص له هذه الصفحات فهو أن كلا الظاهرتين، تموين الغرب بالنشاط الإرهابى وحاجته إلى الإعلان عنه، يمكن ردهما إلى مصالح الغرب وسياسته، لا إلى نشاط «الإرهابيين» وخططهم. فالإرهاب الأول، فى هذا الشرح، غربى الأصل، يتجلى، مثلا، فى حملات القمع التى تشنها حكومة جنوب إفريقيا فى الداخل وفى هجماتها المباشرة أو تلك التى تنوب عنها فيها قوى إرهابية عبر الحدود؛ فى سياسة اسرائيل فى الضفة الغربية وهجماتها الشديدة على جنوب لبنان وإشرافها على جيش حداد؛ فى قيام الولايات المتحدة بتنظيم الكونترا ومساندتهم، هم وجيشهم الإرهابى، فى سلفادور، وفيما عُهد عنها من تولى تمرين قوى الجيش والبوليس ودعمها فى جميع منطقة نفوذها وفقا لاستراتيجية «سياسة التأمين»!!.

إن معظم «الإرهاب» الذى يدور عنه الحديث فى الغرب إنما هو رد على هذا العنف الغربى الأول. فالغرب، لا الإرهابيون، هو الذى وضع الإرهاب فى المقدمة لاستخدامه كأداة من أدوات الدعاية والتمكن. ولقد أدى «الإرهاب» مهمته هذه بنجاح باهر.

إن استخدام الإرهاب من أجل المقاصد الغربية كان يقتضى تعريف الكلمة وخلق نموذجا للإرهاب واختيار الحقائق التى تناسب احتياجات الغرب. وكان الغرب يملك منذ زمن طويل وسائل مخاطبة الجماهير التى تؤدى هذه الوظيفة، فلم يتميز هيجان الغرب حول الإرهاب خلال العقد الأخير إلا بظهور حشد من المعاهد وخزانات الفكر ومايرتبط بها من الخبراء الذين يقوم عملهم فى تحقيق المقاصد المنشودة. وهذه ظاهرة يمكن وصفها بكونها «صناعة» فكرية بالمعنى الاقتصادى للكلمة، لأن إنتاج وجهة نظر إعلامية وجعلها عملية «متقنة»

متحيزة فى طبقة من الأفراد والمعاهد يمكن تحديدها.

ثم إن المعنى الاقتصادى ينطبق أيضا لأن المعاهد وخبراءها إنما يلبون «طلبا» للدولة، وغيرها من القوى من أجل خدمة فكرية - إيديولوجية، مثلما يطلب الجيش عددا من الدبابات أو مثلما يطلب بعض منتجى الصابون لوحة إعلانية. فالنظام الجارى هنا هو نظام السوق، والخدمة الفكرية انما هى استجابة لقوى السوق. فالأفكارومنتجوها يستطيع شراءهم من توفرت لديه الحاجة والموارد التى يمكن أن تتمخض عن طلب فعّال. وما كان المؤتمر الوطنى الإفريقى ولاجماعة الدفاع عن جواتيمالا يملكان تمويل بنوك المعطيات أو تمويل التحليلات النظرية الخاصة بالإرهاب الذى مارسته الدولة فى أقطارها فقتلت عشرات الآلاف، وتركت تهديدا يخيم حتى الآن على من بقى من السكان. أما الحكومات الغربية وشركات الأعمال فقادرة على طلب مثل هذه الجهود الفكرية ثم هى تريد المعطيات والتحليلات المتعلقة باحتياجاتها فى مواجهة من تراهم من أعدائها، وهم ثوار ومشردون، لاحكومات اليمين المنغمسة فى التعذيب والقتل على أوسع نطاق، ولاالمتمردون الذين ينظمهم الغرب ويمولهم ليهاجموا الدول التى لاينظر إليها بعين الرضا. ومنه تأتى تعريفات «الإرهاب»: نماذجه أو تصميماته، ويأتى اختيار بؤرة الانتباه المناسبة.

إن «صناعة» الإرهاب تضم موظفين وهيئات حكومية،وتضم محللين ومعاهد بعضها ملك الحكومة وبعضها الآخر ملكٌ شبه خاص، ثم مؤسسات أمنية غير حكومية. ثم هى صناعة متعددة الجنسيات تنطوى على صلات وثيقة بين الحكومة ومن خرج عن دائرتها من الدعاة والمعاهد والخبراء فى الولايات المتحدة واسرائيل - وبينهما - وفى بريطانيا العظمى، ثم إلى حد أقل فى كندا وألمانيا الغربية وفرنسا وإفريقيا الجنوبية وكوريا الجنوبية وتايوان وأعضاء آخرين من «العالم الحر». هذه الشبكة المتعددة الجنسيات تعكس اتفاقا فى المصالح بالإضافة إلى ماتهدف إليه بعض الدول من التأثير على الرأى العام فى أقطار أخرى (كسعى اسرائيل إلى تعبئة الرأى العام الإمريكى ضد القضية الفلسطينية)؛ ويتجلى وجودها فى تدويل المعاهد والمؤتمرات والمنشورات ومقتبسات الثقات التى يرددها الخبراء والميديا أو وسائل مخاطبة الجماهير ثم توحيد التعريفات وجداول الأعمال.

لقد كان الغرب فى أمس الحاجة إلى خدمات صناعة الإرهاب حتى يغطى

نشاطه هو وجرائمه. ففى خلال الاربعين سنة الماضية اضطرت الدول الغربية ـ بما فيها إفريقيا الجنوبية واسرائيل وكذلك الدول العظمى ـ إلى اللجوء إلى القوة والتلويح بها على أوسع نطاق حتى لاتصد فى وجهها أبواب العالم الثالث وحتى تحتفظ بسيطرتها عليه وبامتيازاتها فى وجه الحركات الوطنية والشعبية التى اشتعلت فى عهد «مابعد الاستعمار». هذا المسلك كان إرهابا أول بمعنيين : أولهما أن تضمن من القتل وصور القمع الأخرى مايربو كثيرا جدا على «الإرهاب» الذى وقع فى الغرب (انظر جدول ١)؛ وثانيهما أنه كان يمثل جهودا يبذلها القوى ليبقى على مزايا وأوضاع لاعلاقة لها بالديموقراطية، بعيدة عن متناول المنظمات الشعبية وحركات الجماهير، وعن رقابتها. من هذا المنطلق يتبين أن ضربات المؤتمر الوطنى الإفريقى كانت ردا أثاره إرهاب حكومة جنوب إفريقيا، وهو الإرهاب الأول بالمعنيين اللذين فرغنا للتو من ذكرهما. كذلك كان الأمر مع الساندينستا، فهم حتى شهر يوليو ١٩٧٩ إنما كانوا يحاربون إرهابا أول مارسه نظام سوموزا برعاية الولايات المتحدة من أجل حماية امتيازات منافية للديموقراطية كل المنافاة.

ولكن الغرب رغم كونه المصدر الرئيسى للإرهاب الأول فى العقود الأخيرة قد نجح حديثا فى تحويل تهمة الإرهاب إلى ضحاياه. نجح فى ذلك بأن خلق نموذجا وصيغا لغوية تخدم مقاصده، وبفضل قدرة صناعة الإرهاب وقدرة الميديا العربية على فرضها على جماهير الغرب، لا بل على ضحاياه أنفسهم.

٢- النموذج الغربى ولغويات الإرهاب النموذج الغربى الأساسى

إن النموذج المصنوع من أجل وصف طبيعة الإرهاب ومنابعه كما يرسمه القادة الغربيون وأعضاء صناعة الإرهاب وخبراؤها، يضم هذه العناصر الرئيسية :

١- إن الغرب هدف برئ للإرهاب وضحية له. إنه ينتصر للتعامل المهذب

والحكم القانون، أو بعبارات جورج شولتز، وزير خارجية الولايات المتحدة السابق، وهو يتحدث عام ١٩٨٤ فى مؤتمر معهد جوناثان بواشنطن : «إننا نحاول فى سياستنا الخارجية أن نخلق عالما يؤيد الحل السلمى للمنازعات ويرحب بالتغيير دون صراع عنيف. إننا نعمل من أجل عالم تحترم فيه جميع الحكومات حقوق الإنسان، عالم يقوم على حكم القانون.» ومنه يخرج أن الولايات المتحدة (وحلفاءها، بالتبعية) لاتمارس الإرهاب ولاتساندە على أى نحو وفى أى صورة أو شكل.

٢ - إن الغرب لايعدو أن يرد على مايلجأ إليه الغير من استخدام القوة. فالأرجنتين مثلا، حين انغمست فى أعمال القتل «التى يؤسف لها» خلال السنوات الممتدة من ١٩٧٦ إلى ١٩٨٣، إنما كانت ترد على أعمال الغير - إنها كانت بتعبير شولتز «رداً أثير إثارة متعمدة على حملة واسعة النطاق من الإرهاب.» وهكذا لم تكن مذابح الدولة المؤسفة «إرهابا» - فشولتز يحرص على تجنب هذه الكلمة عند الحديث عن سياسة الدولة الأرجنتينية - والإثم فيها إنما يقع على أولئك الذين استفزوا حكومة الأرجنتين عمدا.

٣ - هذا بينما يصدر الإرهابيون عن دوافع مختلفة، «إنهم يحاولون فرض إراداتهم بالقوة... يريدون بها خلق الذعر.» ثم هم على عكس الغرب، لايلتزمون «بمعايير السلوك المتمدنة.»

٤ - أما الحالات التى ساند فيها الغرب المتمردين الذين يستخدمون القوة، فإنه إنما يفعل ذلك «حمايةً للديموقراطية ضد النظم القمعية»، مثال ذلك مساندة الولايات المتحدة لقوى الكونترا فى نيكاراجوا. أضف إلى ذلك أن المتمردين الذين يؤيدهم الغرب لايقتلون المدنيين الأبرياء :«الكونترا فى نيكاراجوا لاينسفون أوتوبيسات المدارس ولايقدمون على إعدام حشود المدنيين.»

٥ - إن الديمقوقراطيات هى مايمقته الإرهابيون بنوع أخص وهى الأشد تعرضا لأعمالهم، هدفهم فى ذلك هو «تقويض الشرائع وهدم إيمان الناس بالحكم المعتدل. ففى لبنان، مثلا، استغل الإرهاب المؤيدبالدولة الحزازات الموجودة وحاول منع الأمة من إعادة بناء شرائعها الديموقراطية.» على العكس من ذلك ترى «عدد حوادث الإرهاب التى تقع داخل الدولة الشمولية أو ضدها قليلا إلى حد يمكن إهماله.»

٦ - هذه المحاولات المختلفة من أجل إضعاف الديموقراطيات يستتر وراءها الدعم السوفييتي. «ولكن الإرهاب ماكان إلا ليختفي في عدد كبير من البلاء لولا استناده إلى دعم قوي من الخارج. فحلقات الاتصال الدولي بين الجماعات الإرهابية شئ نتبينه الآن بوضوح؛ كذلك الحلقة السوفييتية، مباشرة كانت أو غير مباشرة، نتبينها الآن بوضوح.»

من البين أن هذا النموذج نموذج «وطني» يعزو واضعوه كل الفضائل إلى أنفسهم وإلى أصدقائهم وعملائهم، وكل الرذائل إلى العدو. إنه يردد اسطوانة من الأساطير والإدعاءات وضعت لتبرر مصالح الغرب وسياسته. هكذا يبدو الغرب، أولا وقبل كل شئ، كأنه ضحية لجناية الآخرين ليس إلا - فأما صراعه هو ضد كل تغيير يهدد المصالح الغربية ثم الدور الذي يلعبه من حيث هو الإرهابي البادئ فأمر يغطيه التجاهل والإنكار ليظهر في صورة المؤيد للتغيير السلمي وحكم القانون. فلما غزت اسرائيل لبنان عام ١٩٨٢ غزوا دعمته الولايات المتحدة، محاولةً فرض حكومة من الأقلية على الأهالي الذين وقعوا ضحية هذا الغزو، صورت محاولتها على أنها: **لبنان** «يستعيد نظمه الديموقراطية!» فأما من قاوموا هذا العدوان الخارجي وقاوموا النظام السياسي المفروض عليهم فهم «إرهابيون».

كذلك تتضمن البنية الأسطورية للنموذج الغربي أنه إذا كان الغرب يحاصره «الإرهاب» حصارا لاينقطع، فالشرق معفي من هذا البلاء. هذه الأسطورة تخرج إلى حد ما عن طريق الاستنتاج من أسطورة أخرى مؤداها أن «الإرهاب» نتاج للمحاولات التآمرية التي يبذلها السوفييت من أجل زعزعة «الديموقراطيات». ثم هي تستند إلى حد آخر إلى هذا الادعاء، ألا وهو أن الحركات الثورية التي يؤيدها الغرب تهب دائما دفاعا عن «الديموقراطية» في مواجهة «الحكومات القمعية» وأن هذه الحركات التي تحظى بالتفضيل لاتنسف الأوتوبيسات أيضا. فإذا تركنا الواقع يشق طريقه خلال هذه الرواية الموهومة وإذا سلمنا أيضا بوجود إرهاب مارسته الدولة أو دعمته ضد بلاد مثل كوبا وموزمبيق وأنجولا ونيكاراجوا وفيتنام تبين أن الإدعاء بكون الغرب هو الضحية الوحيدة للإرهاب ليس فقط أكذوبة بل أكذوبة تقلب الحقيقة رأسا على عقب. فالواقع هو أن الكتلة الشرقية والدول الراديكالية قد تعرضت لمستويات من العنف الإرهابي تعلو كثيرا ماتعرضت له «الديموقراطيات».

فحين يسلم شولتز بوقوع مذابح مؤسفة من قبل الدولة كما سبق ذكره، فإنه يصبغ عليها صبغة الرد على استفزاز الآخرين ليس إلا، مبرئا بذلك الغرب من كل تهمة. فأما أن هناك آلافا متعددة عذبت وقتلت دون أن تكون لها علاقة بالثوار المحاربين فأمر لايعنى شولتز الذى يقف عند تبرير ردع الدولة ـ كما فى الأرجنتين ـ بالاستفزاز متجاهلا ماوقع بعد ذلك. إن كثيرا من المعقبين قد أكدوا أن حكمة الجيريلا الأرجنتينية كان قد تم سحقها فى جوهرها عام ١٩٧٧، ولكن جهاز التعذيب والقتل الذى تملكه الدولة استمر فى ازدهاره، وأن جزءا كبيرا من هجوم الدولة كان موجها ضد الحركة العمالية بما يتفق مع السياسة الاقتصادية الجديدة التى أدخلها الجيش. ويذهب «سيمبسون وبينيت» إلى حد القول بأن «**ثلث ضحايا الحرب القذرة كانوا عمالا أو نقابيين**» وبأن «**قادة نقابات العمال كانوا الهدف الأول للبطش.**» أما اللجنة الوطنية عن المختفين التى عينها الرئيس ألفونسين للتحقيق فى موت الآلاف من الناس خلال الحكم العسكرى فقد انتهت إلى أن «القوى المسلحة قد ردت على جرائم الإرهابيين **بإرهاب أشر بما لايقاس من الإرهاب الذى كانت تحاربه.**» هذه النقطة لامحل لها فى النموذج الغربى : فالرد ردٌ وليس إرهابا، أيا كانت أبعاده وكيفيته، وأيا كان هدفه المنذر ونتائجه.

ولنا أن نلاحظ أيضا أنه رغم أن الحكم العسكرى فى الأرجنتين قد لجأ إلى التعذيب على نطاق واسع، مثلما تصنع اسرائيل وإفريقيا الجنوبية، ورغم أن التعذيب والاختفاءات قد تصاعدت تصاعدا هندسيا فى منطقة نفوذ الولايات المتحدة بتوليها الإمداد بالسلاح والتدريب على أنه «سياسة أمنية»، فإن شولتز يتحدث عن «المعايير المتمدنة للسلوك» (وكذا عن الالتزام ب «حكم القانون») على أنها خاصية تميز السلوك الغربى، يضرب بها «الإرهابيون» عرض الحائط.

إن الربط الذى يأتيه شولتز بين الإرهاب وبين الدعم الخارجى والاتحاد السوفييتى فى نهاية المطاف يصرف الانتباه عما لكثير من حركات التمرد المسلح ومن الإرهاب الفردى من جذر تمتد إلى قواعد محلية أو غربية ينطلق منها الإرهاب الأول. فادعاؤه أن حلقات الاتصال الدولى بين الجماعات الإرهابية وأن الحلقة السوفييتية شئ «نتبينه الآن بوضوح» ادعاء كاذب ـ إنما ذلك هو

الموقف الواضح الذى تتبناه حكومتا إفريقيا الجنوبية وتتبناه اسرائيل ويتبناه الجناح اليمينى فى صناعة الإرهاب. ولكن كثيرا من الخبراء «المعتدلين» فى المؤسسة الغربية يرون أن الصلات بين الجماعات الإرهابية واهية وأنه مامن هدف واضح يوجهها إليه الاتحاد السوفييتى. حتى ال سى. آى. إيه وهيئة مخابرات الدفاع قد نفيتا عام ١٩٨١ قيام السوفييت بتنسيق الإرهاب الدولى ورعايته، ولم تخترع خط السير المطلوب إلا بعد أن أمرها به وليم كازى رئيس ال سى.آى.إيه. إن الاتحاد السوفيتى يساعد الكثير من حركات التحرر الوطنى وحركات التمرد، ولكن الخلط بين هذه الحركات وبين الجماعات الإرهابية التى **لا** يساعدها الاتحاد السوفييتى يتيح لمنظرى الغرب أن يجعلوا من الاتحاد السوفييتى راعى «الإرهاب الدولى»

إن النموذج الذى وصفناه للتو، كما فصله وزير خارجية الولايات المتحدة، يعرب عن آراء الولايات المتحدة الرسمية وعن سياستها فى صدد الإرهاب ويعكس مصالح المؤسسة الغربية. إن مغالطات هذا النموذج عظيمة وقيامه يستند إلى الأسطورة والقرائن المصطنعة. ولذلك أمر متوقع من جانب ناطق رسمى باسم إدارة ريجان وحكومة الولايات المتحدة. ولكن الأمر الأهم، الذى يتركز حوله هذا الفصل، هو أن نرى إلى أى حد تم قبول هذا النموذج الرسمى المغرض، فى جميع تفاصيله الجوهرية، من جانب القطاع الخاص فى صناعة الإرهاب ومن جانب أجهزة الاتصال بالجماهير الغربية. إن القول بأن وصف شولتز للنموذج الغربى وصف «متطرف» قول لامعنى له - إنه يمثل موقفا يقارب المتوسط فى نطاق نظرة صناعة الإرهاب.

إن رأى الخبراء تمكن قسمته كما يلى :

هناك **أولا** الرأى الذى سنسميه «المؤسسة المعتدلة» وهو رأي يسلم بملامح النموذج الغربى الجوهرية بما يفترضه ذلك من كون الغرب هو الضحية أولا والضحية الأولى وبما ترتب عليه من تكييف الأسئلة، ولكنه يعرب عن تحفظ فى صدد التنسيق والسند السوفييتى وفى صدد لاشرعية حركات التحرير وجذورها الخارجية (السوفييتية)، ثم فى صدد حكمة الضربات الوقائية ضد الإرهابيين.

فأما الرأى **الثانى** الذى سنسميه «مؤسسة الجناح اليمينى» فيؤكد سيطرة السوفيت الواضحة على الإرهابيين الدوليين وتنسيقهم لأعمالهم، ثم هو يعلن

أن حركات التحرر الوطنى والحركات الأخرى (أحيانا) - الرفق بالحيوان، المحافظة على البيئة، السلام - إنما تنشأ عن الشيوعية الدولية أو تقع تحت سيطرتها، ثم هو يدعو الغرب إلى مقاومة هذا التخريب باتخاذ الإجراءات الوقائية.

ثم هناك، **ثالثا**، الرأى المنشق، وهو رأى يرى أن النموذج الغربى يقوم على مقدمات مغرضة من أجل مصالح الغرب، مقدمات تنكر أن الغرب قد يكون فاعل الإرهاب أو راعيه كما قد يكون ضحيته. وعليه فالنموذج الغربى، فى هذه النظرة، لايزودنا بأساس صحيح للتحليل الموصوعى. وليس هناك إلا خبير واحد ينتسب إلى هذه المقولة بين الاثنين والثلاثين خبيرا الذين سنناقش آراءهم، أما الباقون فيعملون فى نطاق النموذج الغربى. هؤلاء الخبراء يختلفون ويتقارعون بالحجة ولكنهم، باستثناء واحد، لايحيدون عن النظرة الأساسية التى ترى الغرب ضحية، لامصدرا بادئا، للإرهاب.

«مسرح» الإرهاب

هناك عنصر آخر هام فى رأى الخبراء عن الإرهاب، ألا وهو التركيز على دور الميديا باعتبارها «مسرحا» للإرهاب. فهم يرون أن الإرهاب يسهل عليه بشكل خاص أن يشخن الغرب بالجراح لأن الميديا الغربية «الحرة» تميل إلى إبراز أحداث الإرهاب الدامية ومطالبه إبرازا قويا، وبذا تفسح للإرهابيين مجالا ماكانوا يبلغونه لولا ذلك، وهو مايتيح لهم استخدام هذا «المسرح» الموضوع تحت تصرفهم لتنفيذ رسائلهم من خلاله. وهناك بين الخبراء الذين يلحون على أهمية الدخول فى عالم الميديا والإعلان عدد يرى أيضا أن الميديا تبدى تعاطفا مفرطا نحو الإرهابيين، مما يشجعهم على نشاطهم الإرهابى.

والمزية التى ينطوى عليها هذا الرأى من وجهة نظر المؤسسة الغربية هى أنه ينسب جذور الإرهاب إلى الحرية الغربية ذاتها، بما يتضمنه ذلك من تصوير الغرب على أنه ضحية مظلومة لفضائله نفسه. يأتى بعد ذلك الادعاء بأن انفتاح الغرب «يستغله» الشرق المغلق، فيكمل دائرة الظلم. هذه الحجة يغرم بها محللو الجناح اليمينى وصحفيوه غراما خاصا لأنها تتيح لهم مدح «الحرية» الغربية من ناحية بينما هى تتيح لهم من ناحية أخرى الإلحاح على ضرورة كبح

جماح هذه الحرية - ولو كانت ضرورة تدعو إلى الأسف - حتى تتسنى محاربة النار بالنار.

هذه النظرة إلى الإرهاب تفيد أيضا في صرف الانتباه عن علل الإرهاب الأعمق، كشكاوى الإرهابيين ومايسبقها من سلوك الغرب، طلبا لفرض الرقابة على ظهور الإرهابيين في الميديا. هل كان تصاعد الإرهاب بعد عام ١٩٨٢ نتيجة لسهولة التغلغل في الميديا أم كان رداً على غزو لبنان ومذابح صبرا وشاتيلا الجماعية ؟ من البين أن الأكثر راحة للمؤسسة الغربية هو أن تترك محلليها يركزون على «انفتاح» الغرب باعتباره العلة، لاعلى الهجمات السابقة والتي لم تنقطع على «الإرهابيين» وعائلاتهم.

لقد تعرضت الميديا في الولايات المتحدة خلال عدد من حوادث الإرهاب التي وقعت في الثمانينيات وبعدها إلى هجمات مؤداها أنها تمنح الإرهابيين - فوق ماينبغي - علانية وانتباها مشوبا بالتعاطف وأنها تعرقل الجهود الرسمية في معاملتهم. وكان أن رأت الميديا نفسها في موقف دفاعي، تحاول ماجهدت أن تطمئن الجمهور إلى وطنيتها وإلى بغضها للإرهابيين وأن كل همها لايعدو إطلاع قرائها على الأنباء الخطيرة. هذه المناقشة حول دور الميديا قد تخللها تشويه دائم للقرائن الدالة على من يحرك الميديا وعلى من يجد في تغطيتها للأنباء نفعا أو ضرا. ذلك أن إدارة ريجان قد استخدمت «الإرهاب» كوسيلة من وسائل التأثير على الجماهير تهدف إلى تعبئتها من أجل سياستها، ومن يتبين أن ماأعقب ذلك من زيادة الاهتمام بموضوع «الإرهاب» كان يلبي طلبا من قبل الحكومة، لامن قبل «الإرهابيين». هنا ترى الصحافة وترى الخبراء الغربيين يلوذون دوما بالصمت إزاء مناقشة هذه النقطة؛ فهم رغم توكيد إدارة ريجان الواضح على استراتيجية العلاقات العامة، يدعون أن الإرهابيين وحدهم هم الذين يجنون ثمرة الإعلان عن الإرهاب.

إن كون الإرهابيين يلقون حظوة من جانب الصحافة مغالطة لم ينم عن إذاعتها أخصائيو صناعة الإرهاب. فالحقيقة هي أن الميديا وإن نقلت أحيانا بعض شكاوى الإرهابيين وسمحت لهم بالظهور في ضوء إنساني إلا أن تغطيتها لحوادث الإرهاب تغلب عليها الإدانة الرسمية لهجماتهم والتركيز على مصير الضحايا. ثم إن الحدث ماأن ينقضي حتى ترى النظرة إليه من بعد، سواء كانت نظرة الرجال الرسميين أو نظرة الضحايا أو المعلقين، تكاد تنحصر

فى المطالبة بالقصاص وفى الروايات عن استخفاف الإرهاب بكل القواعد ثم فى هجمات على الميديا.

لغويات الإرهاب

إن التكييف اللغوى الذى يحتاج إليه الغرب حتى يرفع عن نفسه وصمة العنف الأسبق ليلصق إياها بضحاياه وبغيرهم من الإرهابيين الأقل منه باعا، قد اتخذ صورا عدة. أحدها قصر الإرهاب على الأفراد دون الدولة، من حيث يلجأون إلى القوة فى تحدى حكوماتهم، بما يتضمنه ذلك من تنزيه الحكومة عن الإرهاب التقليدى الأعلى مكانة (هذا فيما عدا بعض الاستثناءات المختارة). هذا التعريف الجديد غالبا مايندس فى استخدام عشوائى للكلام يتيح للقوى أن يحدد إرهابيه كما يشاء إلى حد يزيد أو ينقص. المثل الملحوظ هنا كان إعلان وزير خارجية الولايات المتحدة الكساندر هيج فى بداية عام ١٩٨١ أن «الإرهاب» سوف يحل محل «حقوق الإنسان» ليشغل المكانة الأولى من اهتمام السياسة الخارجية لإدارة ريجان الجديدة. فقد لاحظت الصحافة إذ ذاك أن مايعنيه هيج بكلمة «الإرهاب» كان ينقصه التحديد والوضوح، ولكن لاالصحافة. ولا مؤسسة الخبراء شرعوا فى أى تحليل أعمق أو فى النقد. كلاهما ترك الغلبة لتعريف الإدارة إذ اقتصرا على اتباعه، يناقشان الإرهاب بمفهوم الإدارة ويحجمان عن تحليله تحليلا نقديا.

فلما اندفعت إدارة ريجان إلى علاقة أشد حرارة مع الأرجنتين وشيلى وجواتيمالا وإفريقيا الجنوبية، تبين أن قادة هذه الدول لم يكونوا «إرهابيين» بل كان كل أمرهم أنهم كانوا يفسحون شيئا اسمه «حقوق الإنسان». فأما الإرهابيون فهم طبعا أولئك الذين يستخدمون القوة فى مجابهة الحكومات، مثل الكتائب الحمراء وعصابة بادر- ماينهوف وحركات التحرر الوطنى مثل ANC وSWAPO. لم يكن من السهل طبعا أن تصف الولايات المتحدة هاتين الحركتين الأخيرتين علانية بكونهما منظمات إرهابية بالمعنى المألوف ولكن بعض العناصر المتطرفة فى الجناح اليمينى للإدارة كالسفيرة جين

كيركباتريك فى الأمم المتحدة ونائبها تشارلس ليشتنشتاين لم يترددا فى وصفهما كذلك وبخاصة عند الحديث إلى مستمعين من الأصدقاء. وهناك خبراء آخرون من الجناح اليمينى لم يترددوا فى إلصاق ذات الوصمة بذات الحركتين وبخاصة، مرة أخرى، عند الحديث إلى جمهور متعاطف. ولكن فى حين كانت صناعة الإرهاب الغربية وكانت الميديا تلوك هذه التهمة لم يفكر أحد منهما فى وصف إفريقيا الجنوبية بكونها «دولة إرهابية»؛ فلا تجد بوتا ودى كليرك يوصفان أبدا بكونهما «قادة إرهابيين، مثلما وصف القذافى.

إن أهمية صرف الانتباه عن إرهابيّى الدولة إلى غيرهم قد تتبين أهميته من الجدول ٣ ـ ١ الذى يرينا نسب أبعاد المذابح التى ارتكبها الإرهابيون «الدولتيون» وغير الدولتيين. فالعدد الإجمالى لضحايا من تخصهم المؤسسة الغربية بالمحل الأول فى صفوف الإرهاب ـ منظمة التحرير الفلسطينية، الكتائب الحمراء، عصابة بادر ـ ماينهوف ـ يقارب عدد القتلى فى مذبحة واحدة من مذابح جيش سلفادور عند نهر سومبول عام ١٩٨٠أو عدد من قتلتهم إفريقيا الجنوبية فى هجمة واحدة على معسكر كاسّينجا للاجئين عام ١٩٧٨. أما مذابح الكتائب ـ اسرائيل فى معسكرى صبرا وشاتيلا للاجئين فقد شملت عددا من القتلى يزيد بمراحل عن جميع ضحايا من يحبذهم الغرب خلال سنوات عدة، ويصدق هذا الكلام نفسه على مذابح الكونترا ضد المدنيين النيكاراجويين من الولايات المتحدة. إن من سفك دماءهم إرهابيو الدولة فى الأرجنتين وشيلى والسلفادور وجواتيمالا وإندونسيا وأفريقياالجنوبية لايزيد عددهم فى كل بلد من هذه البلدان عن جميع ضحايا الثلاثى المشار إليه وحسب، بل هو يفوق كل ماارتكبه من القتل «الإرهابيون الدوليون» فى حسابات ال سى.اى.إيه السابقة على **كيزى** عن مجموع الكرة الأرضية فى الفترة بين ١٩٦٩ ـ ١٩٨٠ ومنه يتضح السبب الذى حمل إدارة ريجان ـ هيج وحمل صناعة الإرهاب الغربية والصحافة على غض النظر عن إرهاب الدولة والتركيز على الإرهاب بالقطاعى ـ ذلك لأن إرهاب الدولة كان إرهابا لاحدود له، ولأن الغرب وعملاءه كانوا أكبر صانعيه.

ثم هناك حيلة لغوية أخرى تفيد فى تبويب الإرهابيين وفقا لأهواء السياسة، ألا وهى فكرة «الإرهاب الدولى.» ففى تعريف ال سى.آى.إيه عام ١٩٨٠، الإرهاب الدولى هو «الإرهاب الذى يدار بدعم من حكومة أو منظمة

أجنبية ويوجه ضد الرعايا أو النظم أو الحكومات الأجنبية. » هذا التعريف يبيح لصناعة الإرهاب الغربية أن تدفع الاتحاد السوفييتى أو ليبيا بكونهما «تدعمان» الإرهاب الدولى لأنهما يساعدان منظمة التحرير أو المؤتمر الوطنى الإفريقى وغيرهما من الحركات والجماعات الخارجة عن حدودهما. ثم إن هذا التعريف يحول المنظمة والمؤتمر إلى «منظمات إرهابية دولية»، مادامت تعتمد على الخارج وتتلقى منه المساعدة. وغنى عن البيان أن الولايات المتحدة قد ساعدت شيلى وإسرائيل وحكومتى السلفادور وجواتيمالا وأنها نظمت وموّلت الكونترا وغيرهم من «المدافعين عن الحرية»، وأن اسرائيل قد سعت إلى خلق جيش لبنان الجنوبى على يد سعد حداد ثم خليفته أنطوان لحد، كما أن جنوب افريقيا قد ساندت (سافيمبى)و (يونيتا) فى آنجولا و(رينامو) RENAMO فى موزمبيق سنوات طويلة. كل هذه الحالات تتضمن دعما خارجيا للإرهاب وتجعل من الولايات المتحدة وإسرائيل وجنوب إفريقيا رعاة للإرهاب الدولى.

كيف يبرئ الغرب نفسه من تهمة مساعدة الإرهاب الدولى ؟ إنه يفعل ذلك أولا بفضل ماذكرناه من استبعاد إرهاب الدولة، وإن كان تعريف ال سى.آى.إيه. لايستتبع هذا الاستبعاد. فإن أخذنا بهذا التعريف لكانت مساعدة الولايات المتحدة لشيلى والسلفادور وغيرهما لاتعتبر رعاية «للإرهاب الدولى» ـ بل رعاية للرعب المسلط على رؤوس الناس جملة وحسب. ثم هناك حيلة لغوية أخرى، هى احتضان كلمتى «العقاب» و «مكافحة الإرهاب» احتضانا يصور الغرب فى صورة من يرد على إرهاب كما سوف نعود إليه فيما بعد. الحيلة الثالثة هى توجيه الانتباه وفقا لاختيار ساذج غث، مع رفض تطبيق ذات الدلائل على العنف المستند إلى قواعد غربية أو لاغربية. مثال ذلك أن تبرئة الدولة لاتنطبق على كونترا نيكاراجوا الذين يصعب القول بأنهم كانوا «يعاقبون» عنف الساندينستا. ومع هذا نظمتهم الولايات المتحدة وموّلتهم وزودتهم ودربتهم على طرق الإرهاب وخططت كثيرا من عملياتهم تخطيطا منفصلا. وعليه فتطبيق مقولة رعاية الإرهاب الدولى ماكان يكون أشد دقة منه فى هذه الحالة.

وبالمثل، ترى أعمال أبو نضال الذى لايزيد اعتماده على ليبيا قطعا عن اعتماد حداد أو لحد بجيشهما فى جنوب لبنان، على اسرائيل، تراها تعزى إلى

القذافى باعتباره الجانب المسئول ومتعهد «الإرهاب الدولى»؛ أما أعمال ممثلى اسرائيل فلاتلقى نفس التقييم، ولانحن سمعنا قط وسائل الإعلام الأمريكية أو خبراء الإرهاب الغربيين يشيرون إلى عملياتهم عبر الحدود باعتبارها حالة من حالات «الإرهاب الدولى». ثم إن الكتائب المسيحية إذا دخلت معسكرى صبرا وشاتيلا للاجئين بتوجيه الإسرائيليين ورقابتهم فذبحت حوالى ٣٥٠٠ فلسطينى، لم نسمع أصواتا تندد فورا باسرائيل باعتبارها دولة إرهابية قائدة رغم أن دورها كان أوضح كثيرا من دور القذافى فى تفجير عدة قنابل فى مطارات غربية. ورغم أن هذه المذبحة وحدها قد تجاوزت ضحايا منظمة التحرير وجماعة بادر ـ ماينهوف والألوية الحمراء مجتمعين.

إن ادعاء الصمم له أيضا أهميته الحاسمة فى علاقات الولايات المتحدة بعملائها فى القمع. فلو تبين أن فريقا مختارا من الإرهابيين يدين بأسلحته وتدريبه للاتحاد السوفييتى لاعتبر خبراء الغرب وصحافته ذلك مسألة خطيرة ودليلا على سوء مسلك السوفييت. فإذا شرعت الدول العميلة للولايات المتحدة فى التعذيب والقتل، وإذا تكاثرت فرق الموت والاختفاءات فى منطقة نفوذ الولايات المتحدة، وإذا كان كل ذلك يعقب ماتبذله الولايات المتحدة فى المساعدة الحربية والتدريب اللذين يستهدفان استهدافا واضحا التأثير على مجرى الأحداث السياسية فى الدول العميلة، لغاب عن أنظار خبراء الإرهاب وأنظار الميديا أن هناك رباطا ومسئولية منتظمتين.

إن هناك حيلة لغوية أخرى ذات أهمية تستخدم ضمانا لقصر تطبيق «الإرهاب» على الثوار وغيرهم من الإرهابيين المناسبين، ألا وهى إيثار كلمتى «العقاب» و «مكافحة الإرهاب». فالغرب وعملاؤه إنما «يعاقبون» و «يكافحون الإرهاب» ـ هذا الاختيار الاصطلاحى اختيار لاضابط له عادة، لأن الضحايا والأعداء يرددون أيضا أنهم إنما يردون على إرهاب سبق الغرب إليه. ولكن هذا القول يتردد فى الغرب، بلا مناقشة. إن اسرائيل ظلت تستفز منظمة التحرير بإرهابها المتعمد على مدى سنوات طويلة بغية تجنب التفاوض مع الفلسطينيين. ولكن ذلك مالا يعترف به الخطاب الغربى.

ثم هناك حيلة أخيرة كبرى هى التركيز على مهاجمة **المدنيين الأبرياء** باعتبارها جوهر الإرهاب. وهو ماعبر عنه (بنيامين نيتانياهو) إذ قال: «الإرهاب هو قتل الأبرياء قتلا متعمدا منتظما وتشويههم وتهديدهم بغية

بث الذعر لأغراض سياسية.» وهذا القول من وجهة نظر أخصائيي الإرهاب والدعاة الغربيين، يثير صور ضحايا اختطاف الطائرات وإطلاق النيران في المطارات. بدلا من صور ضحايا القنابل الاسرائيلية على القرى اللبنانية. وضحايا هجمات نظام جنوب افريقيا المدمرة للأراضي. والقتل في آنجولا. أو ضحايا مذابح الفلاحين التي يقوم بها الجيش في جواتيمالا أو السلفادور. إن السبب الرئيسي في غلبة هذه الصورة هو انحياز صناعة الإرهاب والميديا الغربيتين، اللتين تبرزان ماينزل بالغرب من الأذى إبرازا يتخلله الكثير من التفاصيل والمشاعر الإنسانية بينا هي تلوذ بالصمت إزاء مايدل على الأذى الذي ينزل على يد الغرب، أو تحذفه أو تعالجه معالجة «موضوعية»، بلا استنكار.

ويساعد على هذا التصوير المفضل كون ركاب الطائرات المخطوفة وكذلك من تطلق عليهم النيران في المطارات يبدون كأنهم القمة في «البراءة» لأن إصابتهم كضحايا تبدو اتفاقا محضا. فالإرهابيون لايعلمون هويتهم ولامعرفة لهم بهم ومن ثم يبدو وقوعهم ضحايا أمرا جاء اعتباطا. ولاشك أنهم ضحايا أبرياء، ولكن المدنيين الذين يقتلهم إرهابيو الدولة في غزواتهم النارية أبرياء أيضا **وإنهم ليزيدون كثيرا عن أولئك الذين يحظون بإعلان واسع من ضحايا الطائرات المخطوفة وقاذفي القنابل في المطارات.** غير أن براءتهم تغمض على أذهان الجماهير الغربية، وذلك - إذا تركنا جانبا تقاعس الميديا الغربية عن تلوينهم بلون الحياة الإنسانية وعن إظهار آلامهم بأي تفصيل - لأن إرهابيي الدولة الغربية الذين يتولون قتلهم قلما يسلمون بأنهم يصرعون عمدا مدنيين عاديين. فهم إنما يقتلون «يساريين مشبوهين» أو يهاجمون «أوكارا للإرهابيين»، أما الولايات المتحدة فكانت تلقي قنابلها دائما على «قواعد الفيتكونج» بجنوب فيتنام. فكل شخص مدني يقتل خلال مايقوم به الغرب من القذف بالقنابل أو خلال هجماته بالمدفعية على «أوكار» العدو أو «قواعده» لايخرج أمره عن أحد أمرين: فهو إما «غير برئ» وإما «ضحية غير مقصودة» (أي «لم يقتل عمداً» بتعريف نيتانياهو).

ولكن ذلك تزييف. فالسكان المدنيون لاتنقطع براءتهم لأن الدعاية الغربية تعلن أنهم «يساريون مشبوهون» أو أن منازلهم «قواعد مشبوهة للعدو».

والقتل لايحدث «عفوا» إذا كان ينجم على نحو منتظم محتم عن سياسة عسكرية مرسومة. إن البادئين بالإرهاب قد اعتادوا النظر إلى قطاعات بأسرها من السكان على أنهم غير أبرياء، لأن هؤلاء السكان والأشخاص الناطقين باسمهم يرفضون إرادة الدولة الإرهابية. وما المصطلحات التى ذكرناها للتو - يساريون مشبوهون، أوكار للإرهابيين، قواعد للعدو - إلا عبارات مزيفة تبرر الهجوم على السكان المدنيين. ولكن صناعة الإرهاب والميديا الغربية ترفضان التصريح بذلك : إنها تبيح تصوير ضحايا إرهاب الدول «الصديقة» على أنهم «متعاطفون» مع «الإرهابيين»، وذلك استنادا إلى ادعاءات **الإرهابيين الحقيقيين** - هذا إذا لم يتم تجاهل هؤلاء الضحايا تجاهلا مطبقا.

٣- صناعة الإرهاب

إن صناعة الإرهاب تنتج وتنقى وتعبئ من أجل التوزيع، الإعلام والتحليلات والنظريات المتعلقة بموضوع اسمه «الإرهاب». هذه الصناعة تشمل، أولا، قطاعا رسميا من الدوائر الحكومية والموظفين الذين يرسمون السياسة ويقدمون الآراء الرسمية والوقائع المختارة، عن النشاط الإرهابى فى خُطبهم، وفى المؤتمرات والنشرات الصحفية وفى التقارير والأحاديث. ثم هى تشمل قطاعا خاصا من بنوك الفكر ومعاهد البحث وعددا من الشركات التى تُعنى بتحليل المخاطرة وبأمن الأشخاص والأملاك وحمايتهم، مع عدد من «خبراء» الإرهاب المرتبطين بهذا القطاع. هؤلاء الخبراء مرتبطون فى المحل الأول بالمعاهد ومراكز الفكر التى يتنسب بعضها إلى المؤسسات الأكاديمية، ولكن موظفى شركة الأمن ومحلليها يعدون أيضا خبراء فى موضوع الإرهاب، وبخاصة فيما يتعلق بجوانبه العملية.

وتقوم بين القطاعين الرسمى والخاص روابط بنوية، فالأول يشمل الثانى برعايته ويستند إليه عند الضرورة. فموظفوا القطاع الخاص كثيرا مايجيئون من إدارات الأمن الحكومية مستمدين من حملاتهم وروابطهم السابقة اتجاه والتوجيه والمعلومات. ثم إن شركات الأمن قد تكون فى بعض الأحيان وسائل

من أجل تنفيذ سياسة الدولة المستقرة. أما المعاهد والخبراء الذين يكملون عمل الحكومة فى إنتاج الخط الواجب وتنقيحه فيتحركون أيضا كأنهم فى باب دائر بين القطاعين المنفصلين اسما ويتلقون التشجيع والمعونة من الحكومة ومجمعات القطاع الخاص على السواء.

القطاع الحكومى

- إن الحكومات تلعب دورا أكبر فى صناعة الإرهاب، سواء مباشرة أو لامباشرة لأنها هى التى ترسم السياسة وتعمل على تحقيقها وهى التى تقوم بشرحها وتبريرها للجمهور. فإذا أصبح «الإرهاب» سمة بارزة فى سياسة الحكومة ودعايتها، كما كان الأمر فى عهد ريجان بالولايات المتحدة، تصاعد دخل الحكومة ودورها. ومن رأينا، أيضا، أن تركيز المؤسسة الغربية المكثف على الإرهاب لم يكن يستند إلى أى تهديد إرهابى خطير، بل الأصدق أنه كان حيلة وأن تصويره تضخم لأغراض سياسية. فى هذه الأحوال تصبح بالفعل الجوانب الإيديولوجية والدعائية للإرهاب هى السمات البارزة للسياسة المتعلقة بهذا الموضوع وتحظى الدعاية الحكومية بنصيب الأسد.

إن وزارة خارجية الولايات المتحدة كانت تملك منذ أيام نيكسون مكتبا لمكافحة الإرهاب (أو شيئا يعادله)، أما الـ CIA والبنتاجون ومكتب التحقيقات الفيدرالية تضم منذ أمد طويل موظفين مكرسين ل «مكافحة الإرهاب.» فلما زاد الاهتمام بالإرهاب خلال الثمانينيات زادت الأموال المخصصة لهذا الباب زيادة كبرى. ففى عام ١٩٨٥ قدر صرف الحكومة بمبلغ ٢ مليون دولار وقدر عدد من شغلتهم لمعالجة الإرهاب بـ ١٨٠٠٠ شخص، وكان معظم النشاط يكرس فى الظاهر لتوفير الأمر المادى للأشخاص والممتلكات. وتوسعت عملية الدعاية الإعلامية حتى صارت وزارة الخارجية تضم الآن سفيرا لمكافحة الإرهاب، مهمته هى «أن يثير فى كل البلاد فهما أكبر لخطر الإرهاب وللجهود المبذولة فى مقاومته.» هذا السفير يقضى جزءا كبيرا من الوقت متحدثا إلى جماعات مختلفة من المستمعين، منهم أولئك الذين يتوجه

إليهم صوت أمريكا والشبكة العالمية (وهى شبكة تلفزيون تملكها الحكومة، *تصل واشنطون بسفارات الولايات المتحدة ومبعوثيها فى أنحاء العالم)*.

كذلك لعبت الحكومة دورا غير مباشر على قدر كبير من الأهمية فى إنتاج الإعلام عن الإرهاب. فهى قد شجعت القطاع الخاص، الذى يعد جزء من أعضائه شبه موظفين حكوميين، وأمدته بمساعدات حاسمة. فشركة «راند كوربوريشان» - وهى ممون فكرى «خاص» ترعاه القوة الجوية للولايات المتحدة، تخصص أحد قطاعاتها للإرهاب. كذلك كان «مركز جورجتاون للدراسات الاستراتيجية والدولية» المعروفة أهميته ، كان يضم بين كبار موظفيه راى كلاين، وهو نائب مدير سابق للـ سى.آى.إيه. ، كما أن هناك تبادلا لاينقطع للمستخدمين بين وزارة الخارجية وال سى.آى.إيه، من ناحية وهذا المركز شبه الأكاديمى، المستقل اسما ، من جهة أخرى. وكثير من «الخبراء الخاصين» المعتمدين قد سبق لهم العمل فى المنظمات العسكرية والمخابرات ولازالوا على صلة مستمرة بها. ولم يكن «معهد بريان كروزييه لدراسة النزاع» ببريطانيا العظمى إلا خلقا اشتركت فيه الـ سى.آى.إيه والمخابرات البريطانية، وكان أداة دعاية استخدمها كلاهما (كما استخدمه اتحاد الصناعات البريطانى). أما «مركز بحوث الإرهاب فى جنوب إفريقيا» فقد أنشئ على أنه هيئة بحث مستقلة بالاسم تحت إدارة ميكائيل موريس، وهو عميل قديم العهد بين عملاء البوليس السرى بجنوب إفريقيا.

أمثال هذه المعاهد والخبراء تعمل يدا بيد مع وكالات الحكومة فى إمداد الجمهور بوجهة النظر الواجبة وبالإعلام المناسب. ثم هى أيضا أدوات هامة فى قطاعات معينة من الدعاية الحكومية. هذه النقطة تنطبق على العلاقات بين الحكومة والميديا حيث عهدت الحكومة منذ زمن طويل أن تختار عددا من المخبرين الصحفيين والجرائد والمجلات كوسائل تتوسل بها إلى بث دعايتها الكاذبة. كما أن الحكومة تمد من تؤثرهم من المعاهد والخبراء بالمعونة المالية المستترة وتخصهم بالمعلومات، تستأجرهم كمستشارين، تمول كتاباتهم وتوزعها ، وتظهرهم للجمهور فيما تتولاه من الأحداث (حلقات البحث وندواته، البيانات إلى الصحف، المؤتمرات الصحفية).

وتشترك كذلك الحكومات الحليفة فى نطاق «العالم الحر» اشتراكا منتظما فى صنع الدعاية والإعلام عن الإرهاب وتوزيعها ، وهى جميعا تسير على

خط «العالم الحر» كما رسمه شولتز عام ١٩٨٤. وكثير منها ترعى قطاعات خاصة من صناعات الإرهاب فى أقطارها وتمدها بمساعدات مستترة.

ويشمل نظام «العالم الحر» فى مكافحة الإرهاب بلاداً ووكالات تحتل هى نفسها المحل الأول بين صفوف الإرهابيين. فجنوب إفريقيا وإسرائيل ودول أمريكا اللاتينية، قد شغلها جميعا إلى حد بعيد «الإرهاب» الذى تراه فى حركات التحرير وفى كل مقاومة تواجه إرهاب الدولة. كذا تبنى نظاما تايوان وكوريا الجنوبية بمساعدة الـ سى.آى.إيه، «حلف الشعوب الآسيوية لمكافحة الشيوعية» ثم «الحلف العالمى لمكافحة الشيوعية» فى عامى ١٩٥٤ و ١٩٦٦ على الترتيب. هذا الحلف الأخير قد ضم معا «الكنيسة التوحيدية للداعية المبجل مون» (وكذا «اتحاد جماعات التوحيد بين الأمريكتين» - وهو فرع منها) وعناصر من النازية أو النازية الجديدة وإرهابيين يمينيين على مستوى الكرة الأرضية. ولقد رأس اجتماع الحلف العالمى المعقود فى بيونس إيريس عام ١٩٨٠ الجنرال (سوارس ماسون) وهو أحد قادة الجيش الأرجنتينى خلال «الحرب القذرة»؛ كما ضم الاجتماع (روبرتو دوبويسون) و (ساندوفال ألاركون)، وهما قائدا فرق الموت فى السلفادور وجواتيمالا، ثم (ستفانو دل كيايه) الإرهابى الإيطالى، و (لويس جارسيا ميزا) الذى رأس دولة بوليفيا بفضل الأرجنتين وعصابة احتكار المخدرات، ثم يمينيين متطرفين آخرين من الولايات المتحدة وغيرها.

إن الغرب، وفقا لنموذجه عن الإرهاب، يقف مع الديموقراطية والأساليب المتحضرة. ولكن الواقع هو أنه ينظم ويدافع عن الإرهاب الرسمى الذى تمارسه جنوب إفريقيا، اسرائيل وفرق الموت فى أمريكا اللاتينية والكونترا (الذين زودهم الحلف العالمى بخدماته بناء على اتفاق صريح بين ريجان ورئيس الحلف جون سنجلوب). إن نسق توزيع الوظائف يقتضى أن يتحدث الخبراء عن القيم المتحضرة وعن عصابة بادر - ماينهوف؛ أما بوتا وشامير وميخيا فيكتورس وبينوشيه ودوبويسون وسوارس ماسون والحلف العالمى فيؤدون خدمات أكثر تأدبا.

معاهد القطاع الخاص

إن الوظيفة الأولى للمعاهد المشتغلة بالإرهاب هو معاونة الأفراد الذين سينشرون الإراء الواجبة. فهؤلاء الأفراد إذ يختارهم معهد يعلن أنه يكرس جهوده من أجل تقدم المعرفة ومساعدة صانعي السياسة على أساس «مستقل غير منحاز» (وهو ماتعلنه جميع هذه المنشآت المغرضة) ينقلبون بذلك إلى «خبراء» معتمدين. ثم إن التمويل والإعلان اللذين تغدقهما المعاهد عليهم يضيفان إلى مكانتهم كخبراء. زد أن المعاهد تعقد مؤتمرات عن الإرهاب وندوات يسهم فيها خبراؤها وغيرهم مما يزيد الإعلان عن آرائهم ومجال امتدادها. فمعهد (يوناثان) الذى ترعاه حكومة اسرائيل قد جعل من عقد المؤتمرات عمله الأول وحظى مؤتمرا يوليو ١٩٧٩ ويونيو ١٩٨٤ بانتباه عالمى إلى ماأثير فيهما من المواضيع كما تراها حكومة اسرائيل ومؤسسة الإرهاب.

ولقد نشأ الكثير من المعاهد التى يتكون منها جزء هام من صناعة الإرهاب، نشأ أو نمى نموا سريعا فى خلال حملة واسعة النطاق فى السبعينات. لقد وصف جون سالوما كيف نشأت «متاهة محافظة» من المؤسسات والمعاهد الخاصة التى أريد بها استثمار موارد الشركات فى اختيار المثقفين (الجامعيين) وتمويل الآراء الحصيفة بحيث تكون شبكة من المفكرين اليمينيين وترسخ سيطرة اليمين العقلية بقوة النقود والدعاية وحدهما. وماأن انتصفت الثمانينيات حتى كانت هيئات مثل مؤسسة هوفر و «الأمريكان إنتربرايز إنستتيوت» ومركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ومؤسسة هريتيج تحظى بميزانيات تزيد عن ١٠ مليون دولار، بل إن المؤسسة الأخيرة قد بلغ رخاؤها حدا مكنها من تمويل قومية أجنبية في بريطانيا العظمى وغيرها.

إن بعض المعاهد الكبرى التى يتألف منها جزء من صناعة الإرهاب تزاول نشاطها فى مجالات مختلفة من النشاط الفكرى والاهتمام السياسى. فالأربعة الكبار الذين سبق ذكرهم بالولايات المتحدة يتنوع نشاطهم تنوعا كبيرا. فلما صار «الإرهاب» مجالا يستقطب اهتمام السياسة اقتحمت الميدان هذه «المجمعات» فعبأت خبراء يعالجونه وزودت نشاطهم بالمعونة. أما المعاهد

المتخصصة فى الإرهاب بالمعنى الضيق فقليلة العدد، ويعد بعضها إلى حد كبير أدوات فى يد أفراد.

وهناك كثير من معاهد صناعة الإرهاب يعمل دون تكلفة كبيرة، فهو يعتمد على عقود البحث مع الحكومة أو على استشارات بعض الشركات الكبيرة التى تريد نصيحة فى المشكلات المتعلقة بالمخاطرة السياسية والأمن. ولكن البعض قد استمد أمواله من الحكومة والبعض الآخر يستمدها من مصادر قريبة من الحكومة. فمعهد دراسات النزاع فى بريطانيا العظمى قد بدأ بتمويل ال سى.آى.إيه، ولكن بعد أن أفشت الصحف ذلك، انتقل التمويل إلى ريتشارد ميللون سكيف. ولقد كان سكيف هذا ممولا كبيرا لكثير من المعاهد التى تؤلف «المتاهة المحافظة» فى الولايات المتحدة، ومن الممكن أن نرى فى نشاطه، وكذا نشاط كروزييه، خدمة يؤديانها لمصلحة أوسع نطاقا من مصالح الدولة ويتوقف تمويلها سواء جاء من الجهات الحكومية أو من نخبة الشركات الكبرى على تراضى الجانبين.

أما المعاهد الكبرى بالولايات المتحدة فتستمد معظم تمويلها من أرضية واسعة من كبرى اتحادات الشركات وطبقة كبار الأثرياء ولاتنال من الحكومة إلا مساعدة مالية ضئيلة. ففى عام ١٩٨٦ جمع «مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية» ١٤ مليون دولار من ١٥٣ اتحادا من اتحادات الشركات و٩٢ مؤسسة (معظمها تستند إلى اتحادات من ذات القبيل)، بما فى ذلك من ٢٦ شركة منهكة فى تزويد البنتاجون بالأسلحة. فمؤسسة اتحادات الشركات والمجمع العسكرى الصناعى بنوع خاص ترى المركز المذكور جديرا باستثماراتها.

وينحو «مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية» منحى يمينيا قويا وتحقيقاته ومؤتمراته وندواته وتقريراته كثيرا ماتأتى متكيفة مع خطوط الدعاية التى ترسمها الحكومة والجناح اليمينى. ففى أوائل السبعينات لعب هذا المركز دورا هاما فى زعزعة نظام أللندى فى شيلى. وادعى رئيس قسم الدراسات الأمريكية اللاتينية به، جيمس تيبرج، أنه كشف عن معسكر شيوعى سرى لتدريب الثوار بكوريا تعلم فيه اليسار الشيليّون كيف يخيفون «المعارضة اليمينية (وهو ماقيل أنهم صنعوه) خلال حملة مارس ١٩٧٣الانتخابية.» هذه المزاعم نشرت فى الصحف الشيلية والمجلات

العسكرية، منسوبة كلها إلى مؤسسة مقرها واشنطون. ولم يفت (فرد لانديس) الإشارة إلى أنه «كانت خدمة جليلة للـ سي.آي.إيه أن يشيع هذا النبأ «خبير» صديق لتذيعه بعد ذلك شركة أنباء ذات صيت مثل اليونيتد برس.

ونظم المركز نفسه أيضا مؤتمرا حول التهديد الأحمر المسلط على إيطاليا، عقد قبيل انتخابات عام ١٩٧٦. ضم هذا المؤتمر (وليام كولبي) و (راى كلاين)، وكلاهما من الـ سي.آي.إيه؛ و (جون كونالي)، وهو عضو في مكتب المخابرات الخارجية؛ ثم (كلير بوشلوس)، سفيرة أمريكا السابقة في إيطاليا و(كلير سترلنج). ويدل تكوين هذه المجموعة على مالهذا المركز من الصلات الوثيقة بالحكومة وعلى الطابع «العملي» لرسالته وافتقاره إلى كل مايشبه الدراسة الموضوعية. فما كان المشهد الإيطالي يمثل في أعين هذه المجموعة إلا تهديدا «للأمن الوطني» للولايات المتحدة مما يقتضي تدخلا قويا.

وفي اليوم التالي لهذا المؤتمر ظهر في صحيفة نيو ريبابلك مقال بعنوان «إيطاليا والمكارم الروسية» كتبه سترلنج بالاشتراك مع ليدين، مؤداه أن السوفييت كانوا يمولون الحزب الإيطالي من خلال شبكة تصدير وتوريد تجارية. هذا المقال الذي أعيد طبعه في صحيفة روم ديلي أمريكان التي تمولها الـ سي.آي.إيه وفي صحيفة **آل بورجيزيه** الناطقة باسم الحركة الفاشية الجديدة وقد وزعت على صحفيين من الولايات المتحدة بناء على طلب السفارة الأمريكية. وكانت الفائدة من ذلك أن انصرف الانتباه عن كون الولايات المتحدة كانت تمول في الخفاء أحزابا من الوسط واليمين في تدخل واسع النطاق.

مثال آخر أحدث عهدا يدل على الاتجاه اليميني «لمركز الأبحاث الاستراتيجية والدولية»، وعلى استمراره في النشاط الدعائي الذي لاعلاقة له بالدراسة، هو الندوة التي عقدها عام ١٩٨٤ حول تآمر الـ (ك ج ب) المزعوم مع بلغاريا على قتل البابا. ضمت الندوة بين أعضائها بول هنز، وهو من رجال الـ سي.آي.إيه القديمي العهد، كما ضمت آرنو دي بورشجراف، وروبرت كوبرمان وزبينيف برجنسكي وماكس كمبلمان وراى كلاين ومارفن كولب. وكان أن أخذت الندوة بنظرية المؤامرة، قبل أن يحكم القضاء فيها، على أنها حقيقة ثابتة. وهاجمت حكومة الولايات المتحدة لأنها لاتعلن الحقيقة ونشرت بعض

الادعاءات الحمقاء عن نفوذ السوفييت فى الميديا الغربية. كانت هذه الندوة تمرينا فى الدعاية خاليا من كل محتوى عقلى، أريد به استغلال الاعتقاد السائد بمسئولية السوفييت الذى شجعته حكومة الولايات المتحدة وشجعه خبراء الإرهاب مثل سترلنج وهنز وغيرهما بالإضافة إلى الميديا.

إن جنوح «مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية» إلى اليمين ووظيفته كأداة دعاية يدل عليه الدور المبكر الذى لعبه (تيبرج) وتدل عليه المؤتمرات والندوات التى سبق ذكرها. أضف أن جريدة هذا المركز، **واشنطون كوارترلى**، كان يرأس تحريرها ميكائيل ليدين، وهو زميل قديم لكلير سترلنج ورجل ذو صلة وثيقة بالمخابرات السرية الإيطالية والإسرائيلية وحديث لهيج وإدارة ريجان. كذلك كان راى كلاين، وهو من رجال الـ سى.آى.إيه القديمى العهد تربطه صلات وثيقة بالحلف العالمى لمكافحة الشيوعية السابق الذكر وغيره من المؤسسات والحكومات اليمينية المتطرفة، كان بين من ساهموا بأكبر نصيب فى نشاط مركز واشنطون هذا. إلى أن يذهب هذا المركز إلى حد تعيين آرنو دى بورشجراف بصفة أستاذية ـ بينا هو صحفى يمينى متطرف يرأس تحرير جريدة الكنيسة التوحيدية ومجلة **واشنطون تايمز** ـ فيدل على مفهوم هذه المنظمة لمعنى «الأستاذية».

إن الباب المفتوح بين «مركز الأبحاث الدولية» وبين وكالات المخابرات الحكومية لم يتوقف قط، وصدق وصف فرْد لانديس لهذه المنظمة بكونها «برج من العاج لأشباح عجوزة». مثل (فيلدين) و (والتر لاكير) و (إدوارد لوتواك)، وهو رجل آخر من زمرة التابعين بلاقيد ولاشرط، كلهم على صلات وثيقة بإسرائيل والموساد وكذلك بممثلى حكومة الولايات المتحدة. فالمركز المذكور هو بحق عضو «متعدد الجنسيات» فى صناعة الإرهاب.

الخبراء

إن حلقة الوصل بين المعاهد والميديا تتألف من «خبراء» الإرهاب الذين ينشرون الكتب والمقالات والدراسات فى كبرى دور النشر وأمهات الصحف وفى

الدوريات والمجلات التى تصدرها المعاهد التى تفسح لهم أبوابها. هؤلاء الخبراء يتسنى لهم بفضل المعاهد التى تشملهم برعايتها أن يشترك بعضهم فى المؤتمرات التى ينظمها البعض الآخر أو أن يسهم فى هيئات التحرير الاستشارية للمجلات التى يصدرها (مجلة الإرهاب أو الصراعات)، يعلق أحدهم على كتاب الآخر أو يكتب له تصديرا ويستشهدون جميعا بعضهم ببعض استشهادا غزيرا. بهذه الشبكة يرسخ هؤلاء الخبراء وقائعهم كأنها الحق وآراءهم وفروضهم المتشابهة على أنها المنطق عينه. إنهم يجيزون أنفسهم ويجيز بعضهم بعضا فى حجرة يسمع فيها كل منهم صداه.

إن فروضنا فى تحليل آراء خبراء الإرهاب وصلاتهم هى :

(١) أن خبراء القطاع الخاص إما يميلون إلى الانتساب إلى الحكومة فى الحاضر أو كانوا ينتسبون إليها فى الماضى القريب؛.

(٢) أنهم يرتبطون فى معظم الأحيان بالمعاهد التى تهدف إلى دفع آراء المؤسسة ذات النفوذ والتى يغلب على الكثير فيها ميل قوى مع الجناح اليمينى؛.

(٣) كثير منهم يرتبط مباشرة أو لامباشرة بالاتجاه الدولى المغرق فى اليمينية كما يتمثل فى نسق الكنيسة التوحيدية؛.

(٤) كثير منهم يرتبط بالقطاع الخاص لشركات الأمن؛

(٥)قلما يحيد الخبراء - إذا حادوا - عن النموذج الغربى الرسمى فى شأن الإرهاب، ونظرا لغلبة الجناح اليمينى على المعاهد فإنهم يميلون فى واقع الأمر إلى عرض الصيغة اليمينية القصوى لهذا الخط.

ولكننا نهتم فى نهاية الأمر بالخبراء المعتمدين قبل الميديا والذين ينالون بذلك حق تعريف المسائل والتوجه إلى الجمهور. ثم إن الخبراء يضمون عددا ممن يكثر الاستشهاد بهم لدى الأخصائيين فى هذا الحقل ويبعثون كشهود فى التحقيقات أو كمشتركين فى المؤتمرات. ومنه اشتملت القائمة أدناه أولا على ١٦ خبيرا من أهم الخبراء بناء على عينة من ١٣٥ مادة صحفية تتعلق بالموضوع؛ ثم ثانيا على ١٣ خبيرا استنادا إلى استشهادات الخبراء الآخرين بكتاباتهم. ولما كان ثمة خمسة أفراد يشتركون فى القائمتين فحاصل جمعهما ٢٤ خبيرا. أضفنا إلى هذه المجموعة ثمانية أسماء أخرى استناداً إلى تقديرنا لأهميتهم إذا قيست بمدى نفوذهم.

١٦ خبيرا، بناء على الاستشهادات فى ١٣٥ مادة صحفية :

بريان جنكنز　　بول هنز
روبرت كوبّرمان　　وليم كولبى
نيل ليفنجستون　　أورى را ـ أنان
بول ويلكنسون　　آريْل ميرارى
ميكائيل ليدين　　جوزيف شوربا
لورانس إيجلبرجر　　فؤاد عجمى
كلير سترلنج　　راى كلاين
يوناه ألكساندر　　والتر لاكير.

١٣ خبيرا، استنادا إلى استشهادات الآخرين بهم

بول ويلكنسون　　إ. ف. ميكالوس
ميكائيل كروزييه　　بريان جنكنز
والتر لاكير　　ريتشارد كلاتربو
تد جار　　يوناه ألكساندر
إ. ف. والتر　　ج. ب. بل
م. س. بسيونى　　مرجريت كرنشو
روبرت كوبّرمان

قائمة تكميلية من ٨ من كبار الخبراء فى الإرهاب

آرنو بورشجريف　　روبرت موسى
لورد ألان شالفونت　　ريتشارد بايبس
صمويل فرنسيس　　ستيبان بوسّونى
جين كيركباتريك　　موريس تاجولّ

وتؤيد اللوحة فرضنا الأساسى تأييدا قويا. فنحن نرى من قراءة السطور من ١ ـ ٣ إلى أى حد وثيق ارتبط الخبراء الخاصون بالحكومات. فمن كانت له منهم فى الماضى القريب صلة بحكومتى الولايات المتحدة أو بريطانيا يربو عددهم على الثلثين ومن كانت لهم صلة بالـ سى.آى.إيه تبلغ نسبتهم نحو الخمس. ومن الشائع أن تضم المؤتمرات فى موضوع الإرهاب بين كبار المتحدثين فيها خبراء من القطاع الخاص ورجالا من ممثلى الحكومة، يتضامنون جميعا تضامن الزملاء، وتصعب التفرقة بين آراء هذا الفريق أو ذاك. مثال ذلك أن

وليام كيزى الذى رأس الـ سى.آى.إيه خلال حقبة طويلة من عهد ريجان قد تحدث فى المؤتمر الذى عقدته عام ١٩٨٥ «مدرسة فلتشر للدبلوماسية» عن :«حلقات الاتصال الدولية : ماذا نعلم عنها ؟» فانسجم كلامه بغير عناء وبقية ماقيل، ولم ير الخبراء أقل إشكال فى التوفيق بين هذا الرأس النشيط للمنظمة الأنشط وبين محاضرهم.

هذه الصلات بين ممثلي الحكومة والخبراء تجعل انحيازهم إلى خط الحكومة احتمالا قويا، أو بعبارة أخرى، إنها تشير إلى افتقار هؤلاء إلى الاستقلال. وكان الواجب أن يثير ذلك الأسئلة عن ملاءمتهم للدور الذى يضطلعون به كمصادر يُفترض استقلالها ـ ولانتحدث عن معارضتها ـ لما يُنشر. ولكن الواقع الذى نُفاجأ به هو أن الميديا لاترى أقل حرج فى هذا الافتقار إلى الاستقلال، بل هى لاتبدو على وعى بأن هذه مشكلة. فظنون ممثلى الحكومة وحقائقهم تلقى تسليما لانقاش فيه بصحتهاحتى أن العلاقة الاحتوائية بين الدولة والصحافة «المستقلة» لاتبدو أمرا من شأنه أن يُعدى وظيفة الصحافة. لا بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى حد الأخذ المؤمن (والمستتر فى كثير من الأحيان) بأقاويل العاملين أو العاملين السابقين فى الـ سى.آى.إيه وغيرها من إدارات المخابرات التابعة للدولة (كوبى، كلاين، كروزييه، هنز، موسى، تاجولّ، إلخ.) الذين يُعدون كأنهم مصادر موضوعية للتحليل والإعلام. البلاد الأخرى وحدها هى التى يلوث فيها أمانة الصحافة تغلغل نفوذ الحكومة فيها وسيطرتها.

النقطة الثانية فى هذا التحليل للخبراء هى أن الحكومة والنخبة المترابطة تغذيان أولئك الذين تفيد آراؤهم فى تعبئة الاتجاهات المغرضة بمدهم بالمعونة المادية وبإنشاء المعاهد التى يعملون فيها. فالسطر الرابع من لوحتنا يرينا أن مايزيد عن ثلثى الخبراء ينتسبون إلى المعاهد. هذه المنظمات، كما سبقت الإشارة إليها، تمولها أو تمد لها العون بطريقة أو بأخرى المؤسسات المسيطرة. هذا مايتجلى بوضوح فى المعاهد الأربع الكبرى ـ هْريتْيج، هوفر، «مركز الدراسات السياسية والدولية، ثم المعهد الأمريكى الدولى» ـ الذى يضم جزءا ضخما من الخبراء. ذلك ان حوالى ٣٠ أو ٤٠ فى المائة من الخبراء ينتسبون إلى هذا الرباعى القائد. كما نرى أيضا أن هناك روابط لها دلالتها بين خبراء الإرهاب وبين معاهد (المبجل مون) وتلك التى تنتسب إلى اللوبى

الإسرائيلي.

ويرينا الجدول أن نحو نصف خبراء التيار السائد ينتسبون إلى الشركات الخاصة المتخصصة في تحليل المخاطرة وأعمال الأمن. هذا الإنتساب من شأنه أن يدخل الشك في صفتهم كخبراء في الإرهاب، لأنهم يبيعون خدماتهم للشركات والحكومات التي لها رأيها المحدد في طبيعة الإرهاب، ثم هم ينتفعون من «تضخم الخطر» لأن شغلهم موقوف على قدر مناسب من الإرهاب الذي يهدد العملاء المطلوبة حمايتهم. أضف أن شغل الأمن يربط الآخذين فيه ربطا وثيقا بمؤسسة الأمن الحكومية في سياسة دائرة من تبادل المعلومات.

خمسة من الخبراء صحفيون وعدد أكبر جامعيون. ولكن الصلات بالحكومة والمعاهد تصحب كلا الوضعين. فأرنو دي بورشيجريف وبريان كروزييه وروبرت موسى وكلير سترلنج يُصنفون على أنهم صحفيون ولكن الثلاثة الأوائل منهم كانت لهم صلاتهم الهامة بالحكومة والمعاهد. أما سترلنج فقد مولها الـ **ريدارز دايجست** (مجلة المختار) ذو الروابط القديمة بالـ سي.آي. إيه، كما أن علاقاتها بوكالات المخابرات الغربية وبمعاهد الإرهاب المختلفة وخبرائه يطبعها الزمالة والتساند.

نحو ثلث الخبراء جامعيون ولكن غالبية كبيرة من هؤلاء كانت لهم أيضا صلاتهم بالحكومات والمعاهد وشركات تحليل المخاطرة. هذا القول يصدق على أكبر الخبراء صيتا الذين تستشهد بهم الميديا أيضا أكبر استشهاد، مثل لاكير وويلكينسون.

فإذا نظرنا إلى آراء الخبراء. تبين أنهم يكادون يجمعون على التركز على إرهاب اليسار والمتمردين الثوار. خبير واحد فقط بين الاثنين وثلاثين خبيرا، ألا وهو م.س.بسيوني، يحيد عن النموذج الغربي للإرهاب. كذلك إذا أردنا أن نرى أين يقع الخبراء في تصنيفنا لنماذج الإرهاب ـ منشقون، معتدلون في نطاق المؤسسة، جناح أيمن ـ تبين أن جميع الخبراء الذين يتسنى تكوين حكم عنهم، فيما عدا بسيوني، ينحازون إلى إحدى صيغتي النموذج الغربي. كما نتبين أيضا غلبة الجناح اليميني على تصوير الخبراء. فالثلثان منهم تقريبا يأخذون بالصيغة المتطرفة للنموذج الغربي التي تريد أن يكون الاتحاد السوفييتي هو الذي يدير الإرهاب العالمي أو ينسق أعماله والتي تعد حركات التحرير الوطني منظمات إرهابية أو صنائع للشيوعية العالمية، منادية بسياسة

رد قوى على المستويين الوطنى والدولى.

إن الاتجاه المغرض للخبراء الغربيين يتبين على نحو أكثر مباشرة ودرامية في الجدول الذى يلخص الموضوعات التى تتناولها المؤلفات الكبرى لثلاثة من خبرائنا عن الإرهاب ـ لاكير وسترلنج وويلكينسون ـ فضلا عن الكتاب المعروف الذى يكثر الاستشهاد به : **الإرهابيون، أسلحتهم وقادتهم وأساليبهم**، بقلم كريستوفر روبسون وروبرت بين. فلقد قسنا تناول هؤلاء الخبراء لموضوعهم بعدد الإشارات الواردة فى فهارس كتبهم إلى اثنى عشر إرهابيا أو عملية إرهابية صدرت عن الغرب والجناح اليمينى، من جهة، ثم إلى اثنى عشر إرهابيا غير غربيين أو يساريين، من ناحية أخرى. ومنه يتبين ولو للنظرة العابرة أن إرهاب الغرب لامحل له فى مفكرة خبرائنا أو حذفوه فى جوهره حذفا. فلا سعد حداد، عميل إسرائيل فى لبنان، ولا ستفانو دل كيايه، أكبر إرهابيى إيطاليا، يظهران فى فهارس هذه الكتب الأربعة، هذا فى حين يرد ذكر عصابة بادر ـ ماينهوف ١١٥ مرة وكارلوس ٦٠ مرة. وبالإجمال يرد ذكر الإرهابيين الغربيين/ جناح أيمن مرتين وذكر الإرهابيين اللاغربيين/ جناح شرقى ٧٣٣ مرة. إن هؤلاء المؤلفين لايتعرضون إلا للإرهاب والإرهابيين المنصوص عليهم.

الميديا الجماهيرية كهمزة وصل لصناعة الإرهاب

إن صناعة الإرهاب تنتج «الخط» الغربى فى شأن الإرهاب وتنتقى الوقائع التى تؤيده، وتقوم الميديا بتوزيعها على الجماهير. ويجرى الوصل بين الطرفين دون أقل احتكاك لأن الميديا تمرر الرسائل المصنوعة دون أى فحص دقيق، فإن هى إلا قنوات. إن الميديا تصف نفسها باستعارة «الكلب الحارس (أو الرقيب)» ويصفها نقادها بكونها «خصوما» للنظام المستتب. ومع هذا فما أثارت الميديا قط سؤالا عن المقدمات التى تستند إليها صناعة الإرهاب أو عن جدول أعمالها، بل إنها تغفل أن تبرز ولو غلطة حرفية أو تصحيحها.

إن سيطرة الحكومة وأعضاء القطاع الخاص فى صناعة الإرهاب على

الميديا تتجلى بوضوح فى الجدول ٣ ـ ٤ الذى يرينا توزيع مصادر الاستشهاد فى ١٣٥ مقالة ونشرة إخبارية عن الإرهاب بين عامى ١٩٧٨ ـ ٨٥. فمنه يتبين أن ٤٢ فى المائة من الاستشهادات يحظى بها ممثلوا الحكومة الأمريكية، وتحظى سائر الحكومات الغربية بما قدره ٥٥ فى المائة. وبلغ الاستشهاد بالستة عشر خبيرا فى القطاع الخاص والذين تستفسرهم الميديا فى كثير من الأحيان ٧١ مرة أى بنسبة ٢٤ فى المائة من جميع الاستشهادات. غير أن بين هؤلاء الخبراء غير الحكوميين ١٢ سبق لهم العمل بالحكومة و١٢ انتسبوا إلى مصرف أو أكثر من مصارف الفكر فى صناعة الإرهاب، فلا ترى بينهم سوى خبير واحد يمكن وصفه دون مغالاة بكونه مصدرا مستقلا للإعلام. ويحظى خبراء الحكومة مع الـ ١٦ اللاحكوميين (وإن انتسب الكثير منهم إلى الحكومة) بما يعدل ٨٠ فى المائة من جميع الاستشهادات. أما من يأتى ذكرهم فى الجدول ٣ ـ ٤ تحت باب «مصادر أخرى» فأغلبهم ضحايا لأحداث الإرهاب يقصون على الميديا تجاربهم ومخاوفهم واستجاباتهم. أما عدد الأفراد الذين تستخدمهم الميديا مصادر لها والذين يعترضون بأى وجه من وجوه الاعتراض على مقدمات «الصناعة» أو آرائها (وهم المصنفون هنا تحت باب «المنشقون») فليس أقل منهم.

إن اعتماد الميديا على الحكومة وخبراء القطاع الخاص كمصادر لها اعتمادا خاليا من النقد يتيح للنموذج والخط الغربيين فى شأن الإرهاب أن يمرا فى صنع الأخبار كأنهما مسلمات لاتلقى نقدا يعتد به. ثم إن هذا الاعتماد يجعل تعريفات النموذج الغربى وخطه، مع تقسيماتهما الثنائية، تبدو كأنها كلها أمور طبيعية جدا. ولقد عبر عن ذلك ستيوارت هول فقال: «إن التعريف السائد يكتسب بالتكرار. وبما لمن يقترحونه أو يأخذون به من الوزن ـ المصداقية ضمانا لصحته كأنه بديهية من البديهيات التى يقع عليها الإجماع.» ثم إن الميديا تسهم فى رسم الخط الرسمى بما تبديه من السطحية المطلقة فى نشراتها الإخبارية، إذ جرت العادة على تقديم موجز يردد كلام الجهات الرسمية دون أى مناقشة لمعانى الكلمات أو استخداماتها، ودون أى تحليل لما قد يكون هناك من الهوى أو مجافاة المنطق ودون أى تقييم لصحة البيانات عن الوقائع.

مثال على ذلك أن سفير اسرائيل بالولايات المتحدة بنيامين نيتانياهو قد استدعته بمناسبة استعراض تدْ كُوبّل فى ٢٥ يونيو ١٩٨٤، المذيعة بتسى

آرون ليدلى برأيه فى الحدث الذى كثر الاستشهاد به على إرهاب العرب ومنظمة التحرير فى معالوط. عام ١٩٧٤. فأجاب : «*كان لدينا عشرون طفلا من أطفال المدارس قتلوا لأننا لم نتمكن من إنقاذهم فى الوقت المناسب، فصرعهم الإرهابيون.*» والواقع هو أن معظم الأطفال ماتوا خلال هجمة دبرها الجيش الاسرائيلى وقتلوا بنيرانه لأن الحكومة الاسرائيلية رفضت رفضا قاطعا التفاوض مع آخذى الرهائن. أضف أن الأطفال لم يكونوا أطفالا صغارا، بل مراهقين انخرطوا فى جماعة شبه عسكرية للشباب (جادنا)، وأن أخذ الرهائن قد سبقته أسابيع من الغارات الجوية المستمرة، قذف خلالها الاسرائيليون بالنابالم معسكرات اللاجئين الفلسطينيين فى جنوب لبنان، راح ضحيتها مائتا شخص. ثم هذا الحدث الذى نقلت أنباؤه إلى الجمهور الغربى قد سبقه بيومين فقط هجوم اسرائيلى جوى على قرية فى جنوب لبنان قتل خلالها أربعة مدنيين. ولكن الإعلام الغربى. كما سبقت الإشارة إليه، يسقط بانتظام شواهد الإرهاب الأسبق مما يجعل استجابات الضحايا تبدو كأنها شر بلا إثارة ولاتفسير. هذا الانطباع لايخرج فقط من إغفال ماأحاط بالحدث، بل أيضا من تكرار بدع لفظية لاتقبل التصحيح (أبرياء قتلهم آخذوا الرهائن)، كما يفعل هنا نيتانياهو ويتسى آرون وكوبّل.

إنك، وفاقا للنموذج الغربى وجدوله، لترى حكومة الولايات المتحدةوأخصّائيّى الإرهاب يعيرون مساعدة ليبيا **«لأبو نضال»** انتباها شديدا ويستشيطون له غضبا، ولكن صوتهم يخفض إذ يتعرضون دون أقل استنكار لمساعدات اسرائيل لسعد حداد أو تعهد جنوب إفريقيا لجيوش صنيعة فى أنجولا وموزمبيق. ولاتعدو الميديا أن تسير على الخط نفسه دون سؤال، بأنبائها وتعليقاتها المركبة وفاقا لما يمليه. فالإرهابيون هم من تصفهم صناعة الإرهاب بكونهم كذلك، وعلى هذه النظرية ينتشر الإعلام.

فلقد ذكرنا من قبل أن النموذج الغربى للإرهاب يركز على الإرهاب الذى ترتكبه جماعات أو أفراد، دون الدول؛ لأن بين الدول العميلةللغرب دولا عدة تنسحب عليها الإدانة لو تركنا الكلمة تأخذ مفهومها التقليدى. والواقع أن أحد الأهداف الكبرى التى دفعت عهد ريجان إلى التركيز على «الإرهاب» كان صرف الانتباه عن الأرجنتين وشيلى وجواتيمالا وجنوب إفريقيا، وتوجيهه إلى الألوية الحمراء ومنظمة التحرير. ولم يكن اتباع الميديا لهذا الخط

بأقل من اتباع الخبراء. فعينة المقالات والنشرات الإخبارية التى استند إليها تحليلناتريننا أن ذكر الإرهاب غير الدولى يزيد على إرهاب الدولة بنسبة ٩٦ إلى ١٠ ـ هذا علما بأن تلك فترة من القتل الجماعى فى الأرجنتين وجواتيمالا، ومن الردع الجماعى الداخلى والاعتداء الخارجى فى جنوب إفريقيا.

فى الختام

إن تطور صناعة الإرهاب ونشاطها ونفوذها يبين كيف يسيطر الأقوياء على الميديا وعلى إدراك الجمهور بسبل تبدو طبيعية للغاية. فالحكومة والأغنياء المتضامنون يغذون المعاهد ومراكز البحث التى ترعى وتتعهد الجامعيين والصحفيين المناسبين، الذين تحمل أقلامهم وألسنتهم الرسالات الواجبة. والفكرة هى خلع سلطة المعرفة على الخبراء الذين سوف يدعمون بذلك دعاية الدولة ويؤيدونهاو بحيث يحتلون المجال الإعلامى الذى قد تدخله لولا ذلك أصوات الخوارج وبحيث يتأكد مسخ الحقيقة والرأى. هؤلاء المحللون تدفعهم أيضا إلى الأمام صحف الميديا الكبرى التى يجهد المشرفون عليها فى ترديد الأفكار الرجعية **(رايدرز دايجيت، تايم، وول ستريت جورنال، نيويورك تايمز)** كما يدفعهم أيضا «أصحاب الأعمدة» نسبة إلى أن لكل منهم عامودا أو مقالا فى إحدى الصحف الكبرى. المتضامنون فى نقابة يمينية واحدة والذين يعربون عن ذات الأفكارالدعائية إعرابا شرسا (وليام باكلى، جورج دل، إيفانز ونوفاك، جين كيركباتريك، جيمس كيلباتريك، ويليام راشر، ريموند برايس، إلخ.). ولاتلبث رسالات هذه الصناعة أن تجرى مجرى البديهيات المشتركة، حتى ليبدو الرأى الآخر شاذا، وحشيا.

فأما كون الخبراء أناسا منتقين، يعكسون آراء الحكومة ومصالح الأقوياء، فسؤال غير وجيه فى نظر الميديا ولاهى تنبئ الجمهور به. بل حتى محاسيب الـ سى.آى.إيه المعروفين بكونهم دعاة مأجورين يقدمون على أنهم خبراء موضوعيون، مستعدون لكل سؤال ـ وهو أمر يعين عليه أن موقف الحكومة سرعان ماينتشر التسليم بصحته، بحيث تنحصر مهمة الخبير فى توضيح الحقائق الثابتة مسبقا والتعليق عليها.

والواقع أن نجاح صناعة الإرهاب نجاح عالى المستوى. ففى كتابه : **أثينا السوداء : الجذور الآسيوية الإفريقية للحضارة الكلاسية.** يرينا مارتن برنال كيف توصل أساتذة العلوم الكلاسية وطبقة الإنتليجنسيا فى الغرب، فى الفترة مابين أواخر القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين أى فى الفترة التى واكبت إخضاع السود وغيرهم من الأجناس المستعمرة على يد

الإمبريالية الغربية، إلى تنقية تصويرهم لليونان القديمة من شروح هيرودوت (وغيره من الكتاب المأثورين) عن تأثر الإغريق العميق بحضارات آسيا وإفريقيا. بهذه الغزوة من غزوات الغسل الإيديولوجى طُهِّر مهد الغرب واتضح أصله الآرى المحض وخلوه من كل نفوذ غريب. إنا نعتقد أن تحويل الغرب إلى ضحية «للإرهاب» وتحويل ضحاياه إلى «إرهابيين» هو، فى ضوء الوقائع، غزوة أخرى لاتقل قدرا إن لم تزد من غزوات الدراسة والصحافة فى الغرب.

جدول ٣-١ القتلى بيد إرهابيين يعملون لحساب دولة ما (دولتيين) وبين إرهابيين غير دولتيين.

نوع القتل	عدد المقتولين	النسبة بالقياس إلى من قتلتهم فتح
غير دولتى		
ألمان : جماعة الجيش الأحمر، الخلايا الثورية وغيرهما من يناير ٧٠ إلى أبريل ٧٩	٣١	٠،١
إيطاليون: الفرق الحمراء وسائر الجماعات ١٩٦٨ - ١٩٨٢	٣٣٤	١,٢
فتح : اسرائيليون قتلوا خلال جميع أعمال الإرهاب ١٩٦٨ - ١٩٨١	٢٨٢	١,٠
العالم : جميع «الإرهابيين الدوليين» وفقا لوضع السى. آى.إيه إياهم فى مجموعة واحدة	٣٣٦٨	١١,٩
حوادث فردية من القتل الدولتى		
السلفادور: ريو سومبول	٦٠٠	٢,١

١٤ مايو ١٩٨٠		
إفريقيا الجنوبية : معسكر كاسينجا للاجئين، ٤مايو ١٩٨٧	٦٠٠	٢.١
جواتيمالا: بانزوس ٢٩ مايو ١٩٧٨	١١٤	.٤
اسرائيل : صبرا وشاتيلا ١٦-١٨ سبتمبر ١٩٨٢	١٩٠٠-٣٥٠٠	٦.٧-١٢.٤
أبعاد أكبر من القتل الدولتى		
الأرجنتين : «اختفوا» بين ٧٢ ـ ١٩٨٢	١١٠٠٠	٣٩.٠
شيلى : ٧٣ - ١٩٨٥	٢٠٠٠٠	٧٠.٩
الجمهورية الدومنياكية : ٦٥ - ١٩٧٢	٢٠٠٠	٧.١
السلفادور: ماتانزا الأولى ١٩٣٤	٣٠٠٠٠	١٠٦.٤
السلفادور: ماتانزا الثانية ٨٠ - ١٩٨٥	٥٠٠٠٠	١٧٧.٣
جواتيمالا : حملة السلام فى ريومونتى مارس ـ يناير ١٩٨٢	٢١٨٦	٧.٨

جواتيمالا: ٦٦- ١٩٨٥	١٠٠٠٠٠	٣٤٥,٦
إندونسيا ٦٥-١٩٦٦	٥٠٠٠٠٠	١٧٧٣,٠
إندونسيا: غزو تيمور وحملة السلام فيها ٨٠- ١٩٨٥	٢٠٠٠٠٠	٧٠٩,٦
ليبيا: اغتيالات لليبيين فى الخارج، ٨٠- ١٩٨٣	١٠	٠,٠٤
كمبودج : عهد بول بوت، ٧٥ - ١٩٧٨	٣٠٠٠٠٠	١٠٦٣,٨
الكونترا برعاية الولايات المتحدة فى نيكاراجوا، ٨١- ١٩٨٧	٣٠٠٠	١٠,٦
إفريقيا الجنوبية وصنائعها: فى أنجولا وموزمبيق ٨٠- ١٩٨٩	١٠٠٠٠٠	٣٥٤٦


BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

جدول ٣- ٢ اتصالات الخبراء الاثنين والثلاثين ومناطق عملهم

الســــــــــمة	العدد	النسبة المئوية
١- صلة بالحكومة الإمريكية سى.آى.إيه	٢٠	٦٢.٥
٢- صلة بالحكومة البريطانية جيش/ بوليس	٦	١٨.٨
٣- انتساب صريح للحكومة	٢٢	٦٨.٨
٤- معهد/ مصرف فكرى	٢٣	٧١.٩
الأربعة الكبار	١٣	٤٠.٦
حركة بـون	٥	١٥.٦
اللوبى الإسرائيلى	٤	١٢.٥
٥- شركات تحليل المخاطرة والأمن	١٥	٤٦.٩
٦- صحفى	٥	١٥.٦
٧- جامعى	١٣	٤٠.٦
٨- تركيز على اليسارى والتمردى	٣١	٩٦.٩
٩- موقعه فى النموذج		
مؤسسة معتدلة	٦	١٨.٨
مؤسسة جناح يمينى	٢٠	٦٢.٥
منشق	١	٣.١
لايدخل فى هذه المقولات (لايبرز فى كتاباته نمذج واضح)	٥	١٥.٦

جدول ٣- ٣ عدد المرات التى يشير فيها خبراء صناعة الإرهاب إلى إرهاب الجناح اليمينى وإلى إرهاب الجناح اليسارى غير الغربى

نوع الإرهاب	دوبسون ـ باين	لاكيو	ويلكينسون	سترلنج
غربى/ جناح يمينى				
روبرتو دوبوسون	–	–	–	–
ستفانو دل كيايه	–	–	–	–
أورلاند بوش كورد	–	–	١	–
لويس بوسرا كاريلس	–	–	–	–
يوتا ـ إفريقيا الجنوبية	–	٢	١(أ)	–
عملية كوندور	–	–	–	–
بينوشيه	–	–	–	–
فيديلا (الأرجنتين)	٢	–	–	–
شارون ـ بيجين ـ يارون	١	–	٢	–
سعد حداد	–	–	–	–
كونترا ـ ريجان ـ نورث	–	١	٤	–
تيكوس (المكسيك)	–	–	–	–
غير غربى/ جناح يسارى				
عرفات ـ فتح	٢٢	٢٦	١٠	٥١
كارلوس	١١	٧	٢	٤٠
أبو نضال	١١	١٦	١	٢
ماريجالا	٨	٨	٦	١١
بادر ـ ماينهوف	٣٤	١٩	٤	٣٦
الفرق الحمراء	١٥	٢٢	٢	٥٧
توباماروس	٥	١٩	٦	٢٢

كاسترو ـ كوبا	٤	١٩	١٥	٤٠
قذافى ـ ليبيا	١٨	٢١	١٣	٣٤
الاتحاد السوفيتى	٥	٧	٢	٢
ويزار من	٥	٧	٢	٢
بلاك بانثرز	١	٢	–	٣
المجموع	١٣٤	١٧٥	٧٢	٣٥٢

جدول ٣-٤ مصادر الميديا فى تغطية «الإرهاب»

المصـــــــدر	عدد الاستشهادات	النسبة المئوية
الناطقون باسم الحكومة الأمريكية	١٣٢	٤٢.٣
ناطقون باسم الحكومات الغربية الأخرى	٣٨	١٣.١
«خبراء» من القطاع الخاص	٧١	٢٤.٤
منشقون	٤	١.٤
غيرهم	٥٥	١٨.٩
المجموع	٢٩١	١٠٠.٠

سلسلة كتاب الأهالى

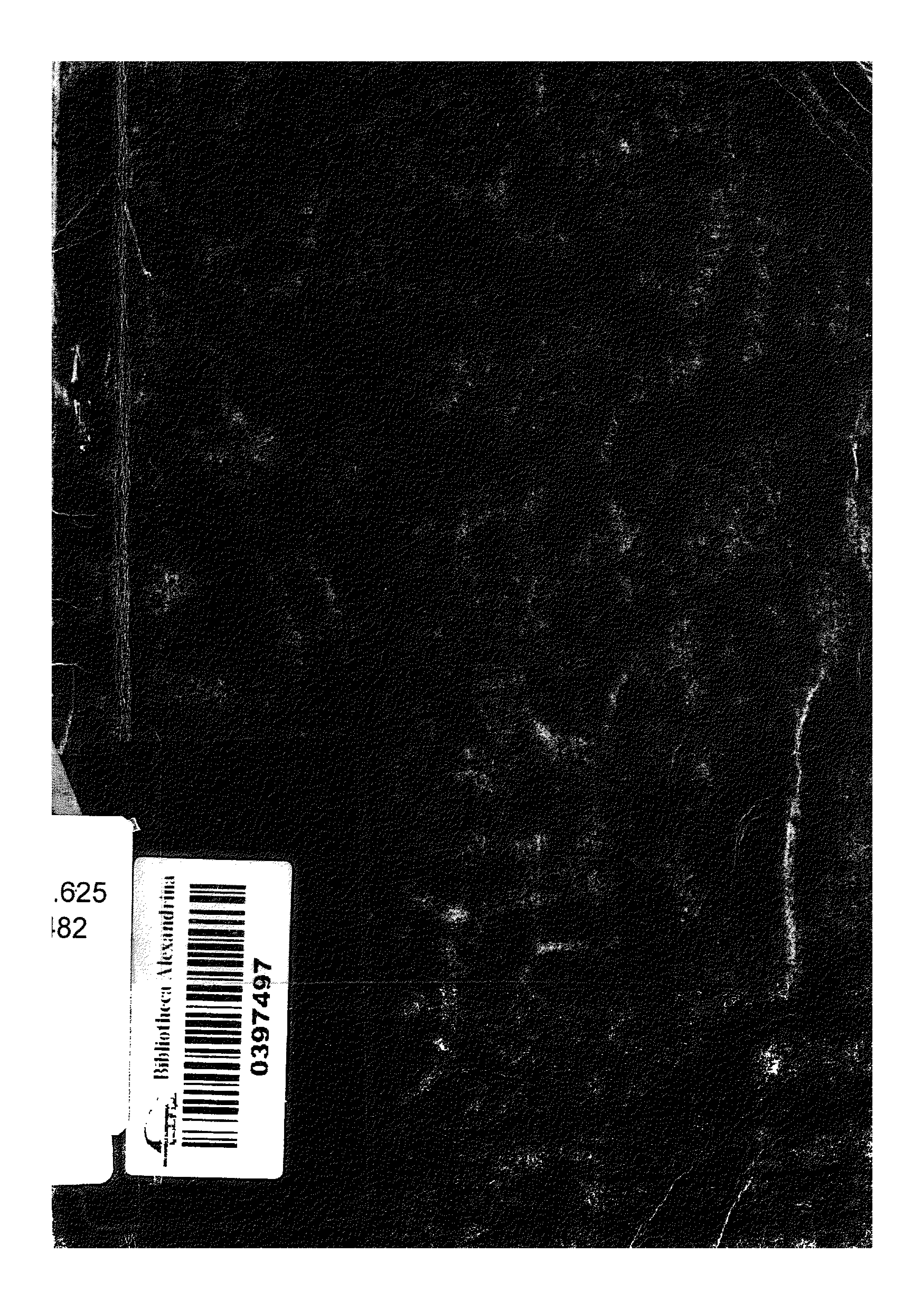
العنوان	المؤلف
١- مستقبل الديمقراطية فى مصر	خالد محيى الدين (نفد)
٢- الأسس القرآنية للتقدم	د. محمد أحمد خلف الله
٣- فى إصلاح ما أفسده الانفتاح	د. ابراهيم العيسوى
٤- محنة التعليم	د. سعيد اسماعيل على
٥- دعم الأغنياء ودعم الفقراء	خبراء الاقتصاد لحزب التجمع -(نفد)
٦- هل نهدم السد العالى	فيليب جلاب
٧- بنوك وباشوات	ديفيد لاندز - ترجمة وتقديم د. عبد العظيم أنيس
٨- محاكمة ريجان	فريق من المتخصصين فى السياسة الدولية ترجمة بيومى قنديل
٩- إنهم يخربون التعليم	د. سعيد إسماعيل على
١٠- حدث فى كامب ديفيد	ثلاثة مؤلفين إسرائيليين - ترجمة ابراهيم منصور -(نفد)
١١- مدرسة السادات السياسية واليسار المصرى	لطفى الخولى-(نفد)
١٢- السلام الضائع فى كامب ديفيد	د. محمد ابراهيم كامل
١٣- حكومة وأهالى وخلافه	الفنان بهجت - تقديم صلاح عيسى
١٤- لتطبّيق الشريعة لا للحكم	خليل عبد الكريم
١٥- الثورة المضادة فى مصر	د. غالى شكرى
١٦- لهذا نعارض مبارك	كتّاب وفنانى الأهالى
١٧- النيل فى خطر	كامل زهيرى
١٨- السادات القناع والحقيقة	محمد عبد السلام الزيات (نفد)
١٩- أزمة النظام الاشتراكى	د. ابراهيم سعد الدين
٢٠- نظرة ثانية إلى القومية العربية	د. فؤاد مرسى
٢١- خطة التنمية الحكومية : الأحلام والواقع والبديل الجاد	د. لطيفة الزيات
٢٢- نجيب محفوظ- الصورة والمثال	١٢ خبيراً - تحرير د. ابراهيم العيسوى
٢٣- يوميات دبلوماسى فى بلاد العرب	د. لطيفة الزيات
	نوفيكوف/ فينوجرادوف - ترجمة جلال الماشطه وحمدى عبد الحافظ

العنوان	المؤلف
٢٤- مقامرة التاريخ الكبرى	د. فؤاد زكريا
٢٥- البيريسترويكا ومستقبل الاشتراكية	ندوة الأهالى (١٧) مفكراً وسياسياً
٢٦- الإسلام والعرش	أيمن الباسينى- ترجمة سيد زهران-(نفد)
٢٧- الخطاب الساداتى	د. عبد العليم محمد
٢٨- حسن البنا - كيف ومتى ولماذا	د. رفعت السعيد
٢٩- الأقباط فى وطن متغير	د. غالى شكرى -(نفد)
٣٠- ثورة الضباط الأحرار فى مصر	مؤلفين سوفييت- ترجمة: عزه الخميسى
٣١- معارك سياسية	د. فؤاد مرسى
٣٢- لماذا نعارض بيان الحكومة	خبراء حزب التجمع
٣٣- التعايش بين الرأسمالية والشيوعية	ج. جلبرث/ س. منشيكوف - ترجمة د. شهرت العالم- تقديم محمد سيد أحمد
٣٤- التطور الزراعى فى مصر	د. الان ريتشارد - ترجمة د. أحمد فؤاد سيف النصر- تقديم د. محمود عبد الفضيل
٣٥- صناعة الفقر العالمى	تيريزا هايتر - ترجمة مجدى نصيف
٣٦- ألف يوم من الثورة	مجموعة مؤلفين - ترجمة عمر عاشور- تقديم عبد القادر ياسين
٣٧- موسكو تعرف الدموع	أحمد الخميس - تقديم حسين عبد الرازق
٣٨- نقد الحركة النسوانية	تونى كليف - ترجمة أروى صالح - تقديم فريده النقاش
٣٩- حكايات من دفتر الوطن	صلاح عيسى
٤٠ - مجتمع الانتفاضة الفلسطينية	عبدالقادر ياسين
٤١ - بشر بلا ثمن	د. أحمد الحصرى - تقديم : د. إسماعيل صبرى عبد الله

تباع إصدارات سلسلة كتاب الأهالى بخصم ٢٥٪
فى مقر جريدة الأهالى:٢٣ ش عبد الخالق ثروت - القاهرة

رقم الإيداع / ٣٢٦٥ / ٩٣

طبعت بمطابع شركة الامل للطباعة والنشر
احوار مورهيتلي سابقا
تليفون ٣٩٠٤٠٩٦


.625
482
Bibliotheca Alexandrina
0397497